

سَبِيلُ اللَّهِ

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

النَّبِيُّ :

لَا كَذِبَ !

بقلم : الدكتور

محمد فؤاد الهاشمي

دكتوراه في فلسفة الأديان

سَبِيلُ اللَّهِ

”فَلِهَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ
عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي“

صدق الله العظيم

النَّبِيُّ :

لا كَذِب !

بقلم : الدكتور

محمد فؤاد الهاشمي

دكتوراه في فلسفة الأديان

مطبعة الكيلاني

المدير المسؤول : رشاد كامل كميلاني

٢٢ شارع غرطة العدة باب القاسم

ت ٩١٨٥٩٨ - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ آيَاتِ التَّنْزِيلِ وَقَبَسِ النُّبُوَّةِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾
(صدق الله العظيم)

« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ . أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . »
(حديث شريف)

الإهداء

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،
الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ،
وهداهم إلى صراط العزيز الحميد ..
إلى من انكشفت له الأسرار ، وأحاطت به الأنوار ،
وتنزّلت عليه العلوم والحقائق ، فما ينطق عن الهوى ..
إلى من أوحى إليه بسعادة البشر ، فكان رحمة الله المهداة ..
إلى من صلى الله عليه ، وأمر الملائكة بالصلاة عليه ،
وفرض على المؤمنين أن يُصلّوا عليه ويسلموا تسليماً :
أُهدى هذا الجهد المتواضع

داعياً الله أن يلمننا دائماً الرشاد والسداد .

اللهم صلِّ على مُضطَّئناك صلاة تتقبل بها عمل هذا ، وأن تجعله
رشداً لي وللقراء الذين يحبون أن يستضيئوا بنور خاتم النبيين ،
وإمام المرسلين . عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .
وبالله التوفيق .

المؤلف

محمد فؤاد الهاشمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لكتاب : (النبي لا كذب)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونصلي ونسلم على رسول الله :
محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي بعثه رب الناس بالهدى
ودين الحق ، ليظهره على الدين كله .

وبعد : فما أشبه الليلة بالبارحة ! في الماضي وفي عهد ترجمة
الثقافات الفارسية والإغريقية إلى اللغة العربية ، دخل بعض الناس
في الإسلام يُلَوِّنون بالقرآن ألسنتهم ، ويُلَوِّنون عنه رهوسهم ،
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ! وإذا انفردوا أو انفردوا
في أشباههم عادوا كما كانوا ، وصبوا عما أعلنوا من إسلام !
هؤلاء الذين أعلنوا الإسلام ثم حاربوه فكان منهم وضاعوا الأحاديث
المنسوبة زوراً وبهتاناً لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، يضلون بها
أنفسهم ، ويضلون بها المسلمين عن دينهم الصافي النقي .

صُورٌ متكررة من أعداء الله : أعداء الإسلام منذ عصر النبوة ،
ولا يزالون يلبسون ثوب كل زمان : يدشون السُّمَّ في الدِّسَم ،
يجتذبون الأنظار والأفكار ، بالعناوين الجاذبة ، فهم يعلمون أن

القرآن كتاب الإسلام وحبُّه ، وممَّجزة نبيه عليه الصلاة والسلام ،
وإذ كان هذا مكانه ومكانته ، فإن الدخول من هذا الباب وبفتح
هذا الكتاب ، ضمين بقراءة ما يكتبون ، وضمين بالإعراض عما
يتقولون ، لأنه ليس كل قارئ صيرفيًا ، تنقاد في يده الدراهم النقية
وتنحاز عنه زبوفها . إن علم القرآن لا ينفد ، لأنه كلمات الله ،
فأى إنسان كاتب يقول : « هذه دراسة للقرآن » تنفذ بضاعته ،
ولكنها لا تسلم من نقد الصيرفي الألعى ، ذى البصيرة ، التى
تفتحت بالقرآن ، واستنارت بنور الرحمن ، وانعرس فيها الإيمان .

نعم ! ما أشبه الليلة بالبارحة ، فإن الحرب ضد الإسلام
تتخذ صوراً وأشكالا متعددة .

نعم . لقد عرض كتاب : (النبيُّ لا كَذِبٌ) اعترافات صادقة
لبعض أولئك الذين درسوا سيرة النبي الأمين عليه الصلاة والسلام
فاستنبهوها خَبْرَهُ وأثره وأمره ، فقالوا مقالة صدق ، فاهت بها
الشَّفاء سطوراً منشورة ، لا خُيوط دُخَانٍ نفثها حدَّادٌ من كِبَرِهِ
فأطلت على رأسه ، فأعمت بصره وبصيرته ، وذهب بلوى لسانه
وجنانه عما عمى عنه قلبه ، فلم ير نور هذا القرآن الذى أنزله
الرحمن على نحاتم رساله وأنبياته .

﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْمَى ، وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ^(١) ﴾ .
 إن القرآن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
 خلفه تنزيل من حكيم حميد ، جاء مصداقاً لما قبله من كتب الله :
 حاوياً لشرائعه ، داعياً إلى الحق وإلى صراط مستقيم .
 ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
 وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) ﴾ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
 إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
 صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ^(٣) ﴾ .

ربنا آهديننا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ،
 غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .
 وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين .

جاد الحق على جاد الحق
 مفنى جمهورية مصر العربية

(١) الآية ٤٣ سورة يونس .

(٢) من الآية ٩ سورة الإسراء .

(٣) الآية ١١٠ سورة الكهف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير الكتاب

الحمد لله الذي رضى لنا الإسلام ديناً ، وبعث فينا محمداً بشيراً
ونذيراً ، أرسله الله حُجَّةً على المبطلين ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ،
ولو كره المجرمون ﴾ . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، نصر
عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده . وأشهد أن سيدنا
محمداً رسول الله الذي هدى به بعد ضلالة ، وأنار به بعد ظلمة ،
رحمة الله المهداة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .
اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين . وبعد :
فإن أعداء الإسلام يتربصون به ، وله يكيدون ، لا تهدأ لهم
ناثرة ولا يفترون ، ففي كل العصور والأزمان يحاولون أن ينالوا
من الإسلام . ولكنهم - في كل مرة - يعودون بالهزيمة بفضل الحكمة
الإلهية التي أنزلت في دستور الإسلام ، وتولت حفظه وصيانته :
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .
وجعلت من وسائل الصيانة وآيات المحافظة ، توارث المسلمين الآيات ،
وحفظها في القلوب والصدور حفظاً ممكنًا .

(١) سورة الحجر آية ٩ .

وكثيراً ما تُطالِعنا بعض دور النشر بكتب تفيض تمويهاً وتضليلًا ، ليوم أصحابها القراء أنهم من المسلمين ، وأنهم من العلماء المخلصين ، وأصحاب النقد النزيه الذين لا همَّ لهم إلا الوصول إلى الحق ، زاعمين أن كتبهم جديرة بالدراسة ، حريّة بالبحث والعناية .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَيَمْكُرُونَ ، وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١) .

وتتركز افتراءات هؤلاء فيما يلي :

(١) أن الإسلام لا أصالة له ، وأنه من اقتباس محمد صلى الله عليه وسلم ، من الأديان السابقة .
(٢) أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم تبشر به الكتب السماوية السابقة .

(٣) أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن أمياً .

(٤) أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يتشكك في نجاح دعوته ، وكان يستنجد بأهل الكتاب ليدفعوا عنه هذا الشك والارتياب ، ولذلك يحاول كسب مودتهم بالثناء على دينهم ، وامتداح ما جاء في التوراة والإنجيل .

(١) من الآية ٣٠ من سورة الأنفال .

(٥) أن القرآن من تأليف محمد ، صلى الله عليه وسلم .

(٦) أن الإسلام انتشر بالسيف .

وإلى هنا بحسن بي أن أقدم بين يدي القارئ ، نموذجاً لما أورده أحد هؤلاء الكتاب ، ليقف على حقيقة الدس والافتراء الذي حشا به كتابه ، ناقلاً عبارته بالنص . . . دون تعصب أو تحيز .

أولاً : يبدأ بالإهداء فيقول : [أهدى كتابي هذا إلى المسلمين منهم ، لكي يذكروا وسط الإلحاد الجارف أنهم أهل القرآن : دين التوحيد الفطري الذي نزل بين أهل الفطرة من بادية الحجاز ، واستقام عليه المسيحيون المقسطون ، الذين جعلهم القرآن شهوداً مع الله والملائكة على التوحيد المنزل] .

ثانياً : استشهد المؤلف بالآية الكريمة :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

ويسير في تفسير الآيات الكريمة حسب هواه ، ويقرر بكل جرأة أن المراد بـ ﴿ أولو العلم ﴾ هم المسيحيون المقسطون ، ويؤكد دعواه هذه بقوله :

(١) الآية ١٨ من سورة آل عمران .

[وهكذا رفع القرآن شهادة المسيحيين للتوحيد ، إلى مقام شهادة الملائكة ، ومقام شهادة الله جل جلاله ، وساماً أهل كتاب الله أى أصحابه من دون العالمين] .

ثالثاً : يزعم المؤلف أن هذا القرآن من صنع محمد وتأليفه ، وليس من عند الله . . . ولكنه يأتى بهذه الفكرة بحذر وخبث ، وبأسلوب مُلتَوٍ فيه كثير من المكر والدهاء ، فيلجأ إلى تجزئ الآيات الكريمة ، ثم يأخذ جزءاً من آية فيربطه بجزء آخر من آية أخرى ، ثم يخرج بنسبة القرآن إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

ففى ص ١٩٠ يجيب المؤلف على سؤال اصطنعه : أن القرآن ليس بقول شيطان رجيم ، بل قول رسول كريم مُطْمَع على الغيب المنزل ، يعرّبه ويفصله ذكراً للعالمين . . . ثم يقول : [هذا الرسول الكريم خبير حكيم ، أحكم الآيات وفصلها] .

ويفسر لفظ « الرسول » الذى ورد فى سورة التكويد : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ على أنه [محمد صلى الله عليه وسلم ، لا جبريل] لينتهى إلى القول بأن القرآن من تأليف محمد ، صلى الله عليه وسلم . . .

ويؤكد هذا الغرض الخبيث بقوله : [إن محمداً تعلم القرآن من أحد علماء بنى إسرائيل ، وقد عربّه من لسان الأعجمين] .

ويقول في ص ٢١٠ : [رسول كريم ، خير حكيم ، وحكيم
عليم ، من علماء بني إسرائيل ، مطلع على الغيب المنزل في زبر
الأولين ، يطالع عليه النبي محمد ، فيفصله بلسان عربي مبين ،
ذكرى للمؤمنين ، وتقولون إنه قول شيطان رجيم ؟ لست بأفأك
أثم] .

هذا قدر كاف نقلناه ليفضح المؤامرة الخطيرة لتشويه جوهر
الإسلام الناصع . . . وليس هذا بجديد ، فلقد ذهب أهل الكتاب
من قديم إلى تحريف الكتب السماوية السابقة .

وقد وقع فعلا في التوراة والإنجيل بشكل واضح ، سجله القرآن
الكريم في قول الله تبارك وتعالى :

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ،
وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ
وَرَاعِنَا ، لَيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَطَعْنَا فِي الدِّينِ . . . ﴾ (١) .

ويقول تبارك وتعالى ، ولا يزال قائلا عليما :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ، لَعْنَاهُمْ ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ
قَاسِيَةً ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ،
وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ . . . ﴾ (٢) .

(١) سورة النساء : ٤٦ . (٢) الآية ١٣ سورة المائدة .

وبعد : فإن هذا الأمر جد خطير ، في الوقت الذي هو فيه نذير ، ليوفظ المسلمين ؛ حتى يقفوا على ما يُدبر لهم ، وما يُراد بدينهم ونبیهم ، فيُهبّوا للجهاد في الله وفي سبيل إظهار الحق ، وذلك على الأقل بتنفيذ مزاعم أعداء الإسلام ، ودحض أباطيل تجار الأديان ، وفضح أساليبهم ، وقال أسلحتهم التي شروها على الإسلام - طيلة أربعة عشر قرناً - وهذا أضعف الإيمان .. وإن كان هذا تقع مسؤوليته على عاتق علماء المسلمين ، فإن عامتهم مُطالبون بالوقوف على دقائق دينهم ، ينفذون أحكامه ، بعد وحدة الكلمة وانهاد الصفوف ، ويقف الخاصة والعامة من المسلمين صفّاً مرصوماً أمام التيارات التي تُتارحى الإسلام وتُعاديه ، امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ،
كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُومٌ ۗ ﴾ (١)

وبهذا يقتنع الأعداء أنهم لم ولن ينالوا من الإسلام - في الماضي والحاضر والمستقبل - مهما عاودوا ومحاولاتهم ؛ لأنهم :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ،
وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۗ ﴾ (٢)

(٢) سورة الصف : ٨

(١) سورة الصف : ٤

وهذا العمل الذي بين يدي القارئ ، عمل متواضع ، اكتفيته فيه بتفنيد بعض مزاعم أعداء الإسلام ، ولأقول لهم بلا مؤاربة : إن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي من عند الله ، لا كذب .. وإن القرآن تنزيل العزيز الحميد على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم النبي الأُمِّي ، الذي قال له ربه :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا . وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (١) .

وقد اعتمدت - بعون الله تعالى - على تفنيد هذه المزاعم ، والردّ عليها بأقوال ونصوص من كتب أهل الكتاب وعلماهم وفلاسفتهم ومؤرخيهم ، ليشهدوا بكلمة الحق : بأن القرآن حق ، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وصحبه - وسلم رسول حق ، وأنه النبي لا كذب .. حتى لا يكون في صدق شهاداتهم ريبة ، ولا بعدها لمرضى القلوب والعقول - مجال !..

(١) سورة الشورى : ٥٢ - ٥٣ .

وصدق الله العظيم ، إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ، قَالُوا :

نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ،

وَاللَّهُ يَمْلِكُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ،

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * ﴿ (١)

وبالله التوفيق .

الثلاثاء : الثاني عشر من ذى الحجة ١٤٠٠ هـ

الحدادي والعشرون من أكتوبر سنة ١٩٨٠

المؤلف

محمد فؤاد الهاشمي

(١) سورة المنافقون : ١

معنى الإسلام

المعنى اللغوي - المعنى الشرعي - كل الأديان دعت إلى التوحيد -
الاختلاف في الدين بسبب اليفى والعدوان

الإسلام هو الاسم الذى عرف به الدين ، الذى جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم

ولم تكن هذه التسمية عن اجتهاد من الرسول محمد، وإنما كانت
من الله تعالى : ﴿ وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) .

المعنى اللغوي :

عنى اللغويون والمفسرون والمستشرقون برد المعنى الشرعي للفظ
(إسلام) إلى أصله اللغوي ، وأثار البحث فيه كثيراً من الجدل ،
ونريد أن نثبت هنا الرأى الراجح .. فإذا تتبعنا مادة (سلم)
في اللغة ، رأيناها تعنى هذه المعانى :

- أولاً : معنى الخلاص والتباعد من الآفات الظاهرة أو الباطنة .
- ثانياً : معنى الصلح والأمان .
- ثالثاً : معنى الطاعة والإذعان .

(١) المسائفة : ٣ .

المعنى الشرعى : الإسلام هو توحيد الله ، والانقياد والخضوع وإخلاص الضمير له ، والإيمان بالأصول الدينية التى جاءت من عند الله .

فالقرآن جعل الإسلام فى مقابلة الشرك :

﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ ، قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

كما جعله فى مقابلة الكفر :

﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا . أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

وجعله بمعنى الإخلاص لله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (٣) .

وورد بمعنى الخضوع لله : ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ ﴾ (٤) .

(٢) آل عمران : ٨٠

(٤) الزمر : ٤٥

(١) الأنعام : ١٤

(٣) النساء : ٢٥

ولفظ (أسلم) أطلقه القرآن على كافة المخلوقين من عبادة ،
لأنهم جميعاً خاضعون لله ، وهم مُقادون له بحكم خلقهم ، رضوا أم كرهوا :
﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (١)

فالنبي نوح عليه السلام يقول :

﴿ ... وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢)

ويذكر الله نبيه إبراهيم عليه السلام بقوله :

﴿ وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ،

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣)

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ : اسْلِمْ ،

قَالَ : اسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤)

والنبي يوسف عليه السلام يقول ، مخاطباً ربه :

﴿ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،

تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٥)

(١) آل عمران : ٨٣ (٢) يونس : ٧٢

(٣) البقرة : ١٣٠ ، ١٣١ (٤) يوسف : ١٠١

كذلك النبي موسى عليه السلام يقول لقومه :
﴿ ... يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ ،
فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ، إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

وجاء في القرآن عن عيسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى
مِنْهُمْ الْكُفْرَ ، قَالَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ :
أَنْحُنْ أَنْصَارُ اللَّهِ ، آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .
ثم أرسل الله رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام بالشريعة المسكنة
لهؤلاء الأنبياء ، ولهذا خاطبه الله بقوله : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ،
كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (١٦٣) .
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١٦٤) . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ ، لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ،
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٣) .

(١) يونس : ٨٤ (٢) آل عمران : ٥٢ (٣) النساء : ١٦٣ - ١٦٥

الاختلاف في الدين بسبب البغى والعدوان :

من الآيات السابقة يتبين أن الدين واحد ، وأن الاختلاف الذي كان فيه - عبر العصور - هو بسبب البغى على الدين وتحرينه من قبل القامئين عليه ، بما يوافق مصالحهم ، للوصول إلى الرياسة وحظوظ الدنيا ..

وكانت رسالة محمد صلى الله تبارك وتعالى عليه - وآله وصحبه - وسلم إظهار هذه الحقيقة ، ودعوة الناس جميعاً إلى أن يجتمعوا على الدين الإسلامي .

قال تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ،
وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) .
فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ : أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ،
وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ : أَسْلَمْتُمْ ؟
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١) .

(١) آل عمران : ١٩ ، ٢٠

وإذا كان الدين واحداً لا يجوز الاختلاف فيه ، فهذا الخلاف
الذي حصل من أتباع الأديان : المسيحية واليهودية والإسلامية
- من افتراق كل طائفة إلى فرق ، وحصول العداوة بينهم -
هو مخالف لتعاليم الله ، الذي ما أنزل الأديان ، إلا لتكون
سلاماً على الأرض ، ومحبة بين الأفراد والأمم . .

ولهذا كانت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام هي التوفيق بين
المخالفين ، ببيان الحق الذي حادوا عنه ، والتحذير من الاختلاف . .
ولهذا يقول تبارك وتعالى ، مخاطباً أتباع محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ،
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى : أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ،
كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ،

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۗ ﴾ (١٣)
وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ،
لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ لِلَّذِينَ أُوْرثُوا الْكِتَابَ
مِنْ بَعْدِهِمْ لِنِ فِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٍ ۗ (١٤)

فَلِذَلِكَ فَادَعُ ، وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ،
 وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ،
 وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا
 وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ،
 اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١﴾

فوحدة الدين حقيقة أعلنها القرآن ، وهي تدحض شُبُهات الذين
 يُنكرون الأديان بسبب اختلافها في جوهرها وأصولها ، فادعائهم :
 بأن كل نبي يأتي بدين يجب أن لا يُناقض سابقه ، هو قول
 لا يُمْتُّ إلى حقيقة الأديان بصلة . فالدين واحد في أصوله
 - في نظر القرآن - ولكن الأديان تختلف في تشريعاتها ،
 لاختلاف أحوال الأمم الاجتماعية ، ودرجة استعدادها العقلي .

ولقد اختتم الله الأديان بالدين الإسلامي ، وأعطى محمداً صلى الله
 عليه وسلم شريعة تفسخ ما قبلها من الشرائع ، مُظهِراً فيها كُنْهَ
 الدين الحق . وهذه الشريعة تُوافق ما اقتضاه التطور العقلي للإنسان ،
 وتصلح لكل زمان ومكان ، وإنما هي الشريعة المقبولة عند الله ،
 ولا يُقبل غيرها ، لقوله تبارك وتعالى :

(١) الشورى : ١٣ - ١٥

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ،
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١)

ولم كان من الخاسرين في الآخرة ،
من يطلب غير دين محمد : ديناً وشريعة ؟

الجواب : هو ما قاله الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم
في الآيات السابقة على هذه الآية ، والتي تبين أن الإسلام قد جمع
الشرائع السابقة كلها وتضمنها :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِضْرِي ،
قَالُوا : أَأَقْرَرْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨١)
فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٨٢)
أَفْغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣)

قُلْ : آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ، وَمَا أُنزِلَ عَلَى
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ،
 وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ،
 لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)
 وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ، فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ،
 وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾

هكذا كانت رسالة الإسلام ، رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
 كما ذكرها القرآن ، موصوفة في كتبهم وأسفارهم ..
 فإلى أسفار بنى إسرائيل ، لنستخرج منها ما أوردته نصوصها
 التي ذكرت محمدًا صلى الله عليه وسلم ، ذلك :

﴿ ... الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (٢)

(١) آل عمران : ٨١ — ٨٥

(٢) الأعراف : ١٥٧ .

محمد صلى الله عليه وسلم

في التوراة

بالإضافة إلى تبشير الأنبياء أولى العزم وأصحاب الرسالات ،
والذين تنزلت عليهم كتب من الله تبارك وتعالى ، نجد كثيراً من
أخبار الكهنة والأخبار ، تُشير إلى ما ورد في التوراة والإنجيل
عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالته ، وعصره .

ولو أوردنا كل ما ورد عن هؤلاء الكهنة والأخبار من
أساطين العلماء بيوطن الأمور : سَطِيح ، وَوَهْب بن مَثْبِيه ،
وكعب الأحبار ، والمقوقس عظيم القبط في مصر ، وهرقل الروم ،
ونجاشي الحبشة ، وَتُبَّع ، وَأُمِّيَّة بن الصَّلْت ... وغيرهم ،
لضافت - بما قرروه من أدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم -
المجلدات ، حتى إنها لشيوعها وكثرة ما فيها من أدلة ، أصبحت
مراجع لأهل الكتاب أنفسهم في هذا الشأن .

وكم من محاولات بذلها بعض أهل الكتاب في تحريف وتبديل
وتكذيب ، لطمس هذه الأدلة ، ولكن الله سبحانه وتعالى
- في كل مرة - قَيَّض من يقوم من بينهم داعياً إلى الإيمان
بالرسول صلى الله عليه وسلم ، مجدداً بهذه الأدلة ، ومبيناً لرسالة
النبي صلى الله عليه وسلم ، بالحجة من كتبهم ! ...

ولا أدلّ على ذلك مما أورده « جا كوثيل رايم » أحدُ أخبار اليهود في القرن الثامن عشر في كتابه « يهود يثرب » ، ليوضح أن الله يُدافع عن دينه ، وينصر رسوله بالقول الصريح الصارخ . . .
فقد جاء في هذا الكتاب :

(اجتمع نفر من مختلف طوائف يهود يثرب في بيت ساقية أخت حُيَيِّ بن أخطب : سيد بني النضير ، ليتدارسوا موقفهم من محمد ، وليرسموا خطط المعارك المقبلة بينهم وبينه ، واعتباره عدوًّا جاء إلى يثرب ، لينتهى بعجيبه عهدهم ، وتزول سيادتهم .
وبينما هم يتشاورون ، ويناقشون ما توصلوا إليه من تخطيط أساسه الدعاية الكاذبة والادعاء المُقترى ، وأهمه إقامة الحجّة على دحض نبوته ، قام من بينهم شاب يدعى « الأ كحل » من بني جشم إحدى قبائل اليهود ، قائلاً :

« يا قوم : إني سمعت من عمي قبل أن يهلك - وكان من الذين ينسخون التوراة - أن هذا النبي جاءت صفاته في التوراة ، وهو لا يزال في علم الغيب ! »

وذكر على لسان عمه ما قرأه في سفر التنبؤات : أن النبي الآتي يكون من سلالة ابن هاجر - إسماعيل عليه السلام -
وقد ناداه الربُّ :

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ : إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ، وَمُبَشِّرًا ، وَنَذِيرًا)
وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ .

أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي . سَمَّيْتُكَ : الْمُتَوَكَّلَ .
لَيْسَ بِفِظًا ، وَلَا غَلِيظًا ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ،
وَلَا قَوْلٍ لِلْخَنَاءِ . أُسَدُّدُهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ ،
وَأَهْبُ لَهُ كُلُّ خُلُقٍ كَرِيمٍ ، وَأَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسِهِ ،
وَالْبِرَّ شِعَارَهُ ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ ، وَالْحِكْمَةَ مَقُولَهُ ،
وَالصَّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ ، وَالْعَفْوَ شَيْمَتَهُ ،
وَالْمَعْرُوفَ خُلْمَتَهُ ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ ،
وَالْهُدَى إِمَامَتَهُ ، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ ،
وَأَسْمُهُ : أَحْمَدُ . .

أَخْتِمُ بِهِ النُّبُوتِ وَالرِّسَالَةِ ، وَأَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ ،
وَأَعْلَمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ ، وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ ،
وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
وَأَهْوَأُ مُشْتَبَةً ، وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةً ،
وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ : (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) .

ويستمر الحبر المؤرخ ، فيقول :

(إنَّ المجتَمعين أنكَروا على الشاب ما قاله ، واتهموه بأنه دسيسة عليهم ؛ لولا أن قيَّض الله للشاب من بين المجتَمعين « عبدَ الله ابن سلام » الذي قام يُدافع عنه ويصدقه ، على قوله) .

كان هذا وأمثاله ممَّا دعانا إلى أن ننتش أسفار (العهد القديم) والتي تسمى عندهم بالتوراة ، لنرى : كيف تناولاتها يد التحريف والتبديل ، بغية إنكار الحقائق ، وحذف ما يكون قرينة على كفر طائفة من بنى إسرائيل ، وذلك بمحو أدلة الأنبياء من بعد موسى ! ولكن الله أبَد الذين آمنوا ، وحال دون طمس الحقائق ؛ فبقي - بعد التحريف - ما يقوم دليلا على نبوة الأنبياء ، ويُدشِّر بخاتمهم : محمد صلى الله عليه وسلم .

ففي سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثين الطبعة العربية عام ١٨٤٤ م (جاء الربُّ من سيناء ، وأشرق من سمير ، واستغلى من فاران ، ومعه ألوف الأَطهار) .

وهذه الفقرة دليل قاطع على توحيد الرسالات الثلاث التي بعث بها الأنبياء الثلاثة : موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم ، إذ جاء الوحي إلى موسى في - وعلى - جبل سيناء ، كما أشرق فأوحى إلى عيسى في سمير ، ونزل جبريل : الروح الأمين ، بوحي رب العالمين ، على : محمد في فاران .

ولا زالت تلك الأمكنة قائمة تشهد بوحدة الوحي الإلهي ،
فسيناء خالدة لم تنطمس معالمها على الأرض ، ويزيد من خلودها
أن الله أقسم بها في القرآن الكريم ، مجاورة لمكة المكرمة
في صدر سورة التين :

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾
وما هي سَعِيرُ تُقْرُ - رغم أنف الزمن - بالوحدانية ، ومعالمها
التاريخية ثابتة ، فهي تقع شرقي بيت لحم . وتسمى حالياً « بيت
ساجير » أي : مدينة الرعاة ، وفيها ظهرت الملائكة للرعاة ،
ييسرون بمولد المسيح عليه السلام . ومن معالمها كنيسة محفورة
في الصخر تحت الأرض ، تسمى : كنيسة الرعاة .

والرأى التاريخي الذي أجمع عليه المؤرخون أن ساعير أو ساجير
حالياً هي المكان الذي انتبذته مريم أم المسيح بحملها ، خوفاً
من أهلها ، واستدل المؤرخون على ذلك بأن القرآن ذكر أنها انتبذت
مكاناً شرقياً . وهذا ما ورد في سورة مريم ، إذ يقول الله تعالى :

﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ، إِذِ انْتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ^(١٦) . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ،
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ^(١)

أما فاران وحراء وأبو قيس ، هذه الجبال الثلاثة التي إذا أضيفت إلى الصفا والمروة ، فإنها تكون مكة المكرمة والبلد الأمين الذي رفع فيه إبراهيم وإسماعيل البيت الحرام الذي بَوَّأَهُ اللهُ لِإِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (١) .

وها هو إسماعيل عليه السلام يساعد والده إبراهيم في رفع البيت العتيق : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

والأسفار تشير إلى ذلك كما في السفر المسمى بسفر التكوين ، إذ أورد سفر التكوين في الإصحاح الحادى والعشرين :

(وسكن - إسماعيل - بركة فاران ،

وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر) .

(١) سورة الحج : آية ٢٦ (٢) سورة البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

وفي نفس السفر الإصحاح السابع عشر ، تنبأ إبراهيم لإسماعيل
عليهما السلام بأنه (سيكون من أولاده من يتبعه شعب كبير) .

ولم يكن من أبناء إسماعيل من يتبعه شعب كبير ،
ولا أمة عظيمة غير : محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي الإصحاح التاسع والأربعين من نفس السفر ، وفي فقرته العاشرة :
(فلا يزول القضيبي من يهوذا والرسم ،

حتى يجيء الذي له السكّل ، وإياه تنتظر الأمم) .

وفي ترجمة عربية سنة ١٨١١ : (فلا يزول القضيبي من يهوذا ،
والرسم من تحت أمره ، إلى أن يجيء الذي تجتمع إليه الشعوب) .

وإذا تأكد لنا أن موسى عليه السلام ، جاء لخلاص بني إسرائيل
وجمعهم بعد شتات . وقال لنا الإنجيل إن المسيح جاء إلى الضالين

من بني إسرائيل ليخلصهم من الضلال (وأجاب وقال : لم أرسل
إلا ليخرف بني إسرائيل الضالة) . متى ١٥ - ٢٤ .

وأوصى المسيح عليه السلام تلاميذه (إلى طريق أمم لا تمضوا ،
وإلى السامريين لا تدخلوا ؛ بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت

إسرائيل الضالة) . نفس المصدر .

فإنه يكون محمد عليه الصلاة والسلام هو النبي : الذي له السكّل ،
وإياه تنتظر الأمم ، وإليه تجتمع الشعوب . وهو الذي يشير إليه سفر

التكوين ، ويشرح به قبل مجيئه ؛ فإنه الرسول المبعوث للناس كافة .

يؤيد ذلك المزمور الخامس والأربعون الذي يبشر العالم ببعثة
محمد ورسالته ، إذ يخاطب داود محمداً عليه الصلاة والسلام :

[اِنْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ . لِذَلِكَ بَارَكَكَ اللهُ

إِلَى الدَّهْرِ ، تَقَلَّدَ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْقَوِيُّ

بِحُسْنِكَ وَجَمَالِكَ - بِذَلِكَ يُسَمُّونَهُ الْقَوِيُّ -

فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ : أَعْدَاءِ اللهِ .

الشُّعُوبُ تَحْتِكَ يَسْقُطُونَ] .

المزمور يصف محمداً ، عليه الصلاة والسلام الذي انسكبت
النعمة على شفتيه ، أى أوتى جوامع الكلم ، ونزل عليه القرآن
رُوحاً من أمر الله ، يهdy إلى صراط مستقيم :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ،

مَا كُنْتَ تَدْرِي : مَا الْكِتَابُ ، وَلَا الْإِيمَانُ ،

وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ،

وَلِإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) .

صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ،

أَلَّا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿ (١) .

(١) سورة الشورى : ٥٢ - ٥٣

وأمر بقتال أعداء الملِك - أعداء الله - بعد أن بلغ ظلمهم مداه وعُنفوانه ، مما كان لابد من أن يصدر الإذن للقوى أن يحمل سيفه ، فبردّ البغي والعدوان الصادرين من أعداء الملك ، فيعود الأمان إلى الأرض :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ،
وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (١) .

ومما يؤكد أن الزمور يشير إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه النبي الذي اجتمع عليه الأحزاب ويهود المدينة وشبه الجزيرة يحاربونه ، فأذن له بحمل السيف حتى انتصرت كلمة الله : أن المزمور التاسع والأربعين قال :

[فَلْيَفْرَحْ إِسْرَائِيلُ فِي مَضَاجِعِهِمْ .. وَسَيُوفِ ذَاتِ قَمِينٍ (٢)
تَصْنَعُ انتِقَامَاتٍ فِي الْأُمَمِ ، وَتَوْبِيخَاتٍ فِي الشُّعُوبِ ،
لِيَقْيَدُوا مُلُوكَهُمْ بِالْقَيْودِ ، وَأَشْرَافَهُمْ بِالْأَغْلَالِ] .

والسيوف ذات القمين (٢) لم يحارب بها إلا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، في جهاده ضد يهود خيبر ، وقيد الأشراف منهم بقيود

(١) سورة الحج ٣٩ .

(٢) السيوف ذات القمين : هي السيوف ذات الحد المدبب ، وهي ما يقال عنها السيوف البتارة أو السيوف الصارمة .

من حديد مع الأسرى من كفار العرب ، الذين ظاهروا اليهود ضد
الرسول والدعوة ، وتكفي هزيمة الروم والفرس لتشير إلى الانتقامات
والتوبيخات التي أشار إليها المزمور .
وإذا تصفحنا الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، لنقف
عند قول الرب لموسى :

[قال الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا ،

سوف أقيم لهم نبيًا مثلك من بين إخوتهم ،
وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ،
ومن لم يطع كلامه الذي يكلم به باسمي ،
فأنا أكون المنتقم من ذلك] .

فمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب بنى إسماعيل :
إخوة بنى إسرائيل أبناء إسحق ، لأن إسحق وإسماعيل هما ابنا
إبراهيم عليه السلام ، وقد جعل الله كلامه في فم محمد
النبي الأمي الذي كان يتحنث في غار حراء ، فجاءه جبريل يقرئه .
فقال : ما أنا بقارئ ، فضمه جبريل إلى صدره قائلاً :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ .
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ .
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١)

(١) سورة العلق ١ - ٥

فقرأ كلام ربه ، واستقبل الوحي وبلغه ، وجهر بدعوة ربه ، وما نطق إلا بما أوحى إليه من ربه ، مما بهر الناس وجعلهم بين مصدق بما جاء به محمد ، وبين مكذب له يهتمه بالضلال يعنى القيادة والسيادة ، مما كان معه نزول الوحي من رب العالمين - مقسما بالآلته التى يراها الناس ويهتدون بها ليلا فى الصحراء ، والتى يعرفها العرب والعجم - فقال تبارك وتعالى فى محكم تنزيله :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ .
 وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ .
 عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ﴾ (١) .

وأما عن قوله لموسى : [سوف أقيم لهم نبيا مثلك] ، فإن الذين يعنهم النص بقوله « لهم » قد تمردوا :
 ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَا تَيْنَا بآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ،
 أَوْ لَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٣) .
 وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ،
 لَقَالُوا : رَبَّنَا ، لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ،
 فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ ، مِّن قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ (٢) .

كما يحاط موسى علماً بقوم سيسدون آذانهم عن الدعوة ،
ويعطون ظهورهم لها ، وقد ذكروهم أشعياء النبي في سفره .

ويقول القرآن الكريم عنهم لمحمد صلى الله عليه وسلم :
﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى * أَعِنْدَهُ
عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوَّ يَرَى * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى *
وَلِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى *
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى *
ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ * (١) .

وقبل أن نتعرض إلى سفر أشعياء ، نعود إلى سفر التكوين
لنستكمل بشاراته بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والذي يشير إلى سلالة
إسماعيل عليه السلام ، التي أشار إليها أشعياء ، ليؤكد أن هذه
الإشارات خاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد ورد في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ،
عن نسل إسماعيل عليه السلام :

[وهذه أسماء بنى إسماعيل بأسمائهم ، حسب مواليدهم :
بنايوت ، بكر ، إسماعيل ، وقيدار ، وأديثيل ، ومبسام ،
ومشاع ، ودومه ، وتياه . . . اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم] .

(١) سورة النجم : ٣٣ - ٤٢

ونتبه القارئ إلى أن بعض هذه الأسماء ، سُرد تبعاً في
الإصحاحات متفرقة أو مجتمعة ، للتبشير - أو في معرض
التبشير - بمحمد عليه الصلاة والسلام .

وبين أيدينا الآن سفر أشعيا ، وهو السفر الذي يعتمد عليه
بنو إسرائيل والمسيحيون على السواء ، ويجعلونه دائماً عماد استشهادهم ،
دون أسفار العهد القديم .

ففي الإصحاح الحادى والعشرين :

[وحى من جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب ، تبيتين
يا قوافل الدادانيين - من سلالة إسماعيل - هاتوا الماء للملاقة
العطشان . يا سكان أرض تيماء - بني تميم من آل إسماعيل -
واقفوا الهارب بخبزه ، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا .
قد هربوا من أمام السيف المسلول ، ومن أمام القوس المشدود .
من أمام شدة الحرب (إشارة إلى الهجرة النبوية)
فإنه هكذا قال لى السيد في مدة كسنة الأجير يغنى كل مجد قيذار
(من بني إسماعيل كما جاء في سفر التكوين) وبقية عدد قصى
(قصى جدّ الرسول صلى الله عليه وسلم)
بني قيذار نفتالى ، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم] .

(١) سفر أشعيا .

وفى الإصحاح الثانى والأربعين :

[هو ذا عبدى الذى أعضده . مختارى الذى سُررت به نفسى ، وضعت روحى عليه ، فيخرج الحق للأمم ، لا يصبح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته ... إلى الأمان يخرج الحق ، لا يَبْكِلُ ولا ينكسر ، حتى يضع الحقّ فى الأرض ، وتفتظر الجزائر فريعته ...

أنا الربّ ، قد دعوتك بالبر ، فأمنسِك بيدك ،

وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب ، ونورًا للأمم .

هو ذا الأوليات أنت ، والحديثات أنا مُخَبَّر بها قبل أن تثبت ، أعلمكم بها ، سبّحوا للرب تسبيحة جديدة ، تسبيحة من أقصى الأرض أيها المنحدرون فى البحر وملوؤه والجزائر وسكانها ، لترفع البريّة ومدنها صوتها فى البيوت التى سكنها قيدار ، سبّحوا يا سكان سالع من رهوس الجبال لتتهفوا ، ليعطوا للرب كرامة ومجدًا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر . الرب كجبار يخرج مثل رجل حُرُوب . ينهض غيرته يهتف ويصرخ أنفخ ويقوى على أعدائه ... وأنخر معاً . أضرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبا ، وأجعل الأنهار جزائر وبحيرات أجفنها ، وأقود العمى فى طريق لم يعرفوها ، أجعل الظلمة أمامهم نوراً والصعب سهلاً . هذه الأمور أفعالها ولا أتركهم . إرْتَدُّوا إلى الوراء . يخزى خزياً المتسكاهون على المنحوتات ، القائلون للسبوكة : أنقن آهتنا] .

[هذه الأمور أفعالها ، ولا أتركهم ... يخزي خزيًا المتكلمون
على المنحوتات ، القائلون للمسبوكة : إنك إن آلهتنا ، تعنى : أن برسالة
محمد صلى الله عليه وسلم قد وقع عليهم الخزي والعار بما عبدوا
الأصنام المسبوكة ، وقولهم لها : أيتها الآلهة] .

فهل إمدع بعد تلك الأدلة القاطعة أن يُنكر نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ؟ نعم : إن الحقد الأعمى يجعل صاحبه يُكابر ويُعانده
الحقيقة ، وصدق الله العظيم ، إذ يقول في كتابه الكريم :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ،
كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ ،
لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وها هو الإصحاح الرابع والخمسون ، وفيه ما نصه : (الفقرات
من ١ - ١٧) .

[أيتها العاقر التي لم تلد ، أنشدي بالحمد وهللي ، التي لم تمخص
من أجل أن الكثيرين من بني الوحشة أفضل من بني ذات
البعل . قال الرب : أوسعي موضع خيمتك وسرادق مضاربك ،
ابسطي طول جبالك وثبتي أقدامك ، لأنك تنفيذين يمنة ويسرة ،
وزرعك يرث الأرض ويعمر المدن الخربة . لا تخافي لأنك لا تخزين
ولا تخجلين ، فإنك لا تستمعين من الذي صنعك رب الجنود اسمه

(١) سورة البقرة : ١٤٦ .

وفاديك قدوسُ إله إسرائيل ، إله جميع الأرض يُدعى . إنما الرب دعاك مثل الامرأة المطلقة الحزينة الروح ، وكزوجة مرزولة ، قال إلهك : تركتك ، وبرحمت عظمة سأجمعك في ساعة الغضب . أخفيت قليلاً وجهي عنك بالرحمة الأبدية ، ورحمتك . قال فاديك الرب : الجبال ترتجف ، والتلال تنزل ، ورحمتي لا تزول عنك ، وعهد سلامي لا يتركك . قال رحيمك الرب : فقيرة مستأصلة بلا تعزية ، ها أنذا أبني بالأئمة حجارتك . أوْسَسْكَ بالسفير ، وأجعل أبوابك حجارة منقوشة ، وجميع تخومك حجارة كريمة ، ها أنذا خلقت الحداد الذي ينفخ الفم في النار حجراً ويخرج آلة لعمله . وأنا هلكت المهلك ليخرب [.

يقول « مناحم عزرا » الحاخام اليهودي في كتابه : « شرح سفر أشعيا النبي » : [بنو الوحشة] هم بنو هاجر ، وهذا يستند إلى ما جاء في سفر التكوين الإصحاح السادس عشر : [هذا سيكون إنساناً وحشياً] .

أى أنه ساكن البرارى والقفار من يوم ولادته ، حيث أخذه أبوه إبراهيم عليه السلام مع أمه : هاجر ، كما عبر السفر ، منبوذة مطلقة . والعاقر التي لم تلد هي « مكة » . والخطاب لها أن تمسك الله الذى عظمها ، والتهليل إنما هو التكبير لله الذى سيبعث برحمته الهداة « مجداً صلى الله عليه وسلم » ، [ورحمتي لا تزول عنك ، وعهد سلامي لا يتركك ، قال رحيمك] .

وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى :

﴿ ... وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ،
 إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ، قَالَ : عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
 التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ
 عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ،
 وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ،
 فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
 الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

إذن لا حاجة إلى جهد من القارىء ، لكي يتبين أن ما هدف
 إليه أشعياء النبيؑ وما تنبأ به ، قد حكاه القرآن الذي يقصُّ سير
 الأولين وما جاء على لسانهم . وهذا من أكبر الأدلة على صدق
 نبوة محمد صلى الله عليه - وآله وصحبه - وسلم ، وأن القرآن الكريم
 تنزيل من عزيز حميد . وصدق الله العظيم في قوله الكريم :

(١) سورة الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧ .

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ ، وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

الإصحاح الستون من ١ - ٧ .

في هذا الإصحاح الستين ، نجد التنبؤ ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم .. وقبل أن نورد النص ، نشير إلى بعض الرموز التوضيحية التي وردت في الإصحاح الخامس والعشرين ، خاصاً بنسب إسماعيل عليه السلام مثل : « كثرة الجمال » و « غم قيدار » و « بكاش بنايوت » . أما النص الذي جاء في الإصحاح الستين من سفر أشعيا :
الفقرات من ١ - ٧ فهي :

[قومي استنيري ، لأنه جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك ؛
لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض ، والظلام الدامس يغطي الأمم ،
أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يُرى ، فتتبر الأمم في نورك ،
والملوك في ضياء إشرافك . ارفعي عينيك حوالياً وانظري :

قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك ، يأتى بنوك من بعيد ،
وتتحمل بنايك على الأيدي ... حينئذ تنظرين وتنبئين ،
ويخفق قلبك ويتسع ، لأنه تتحول إليك ثروة البحر ،
ويأتى إليك غنى الأمم ، تعطيك كثرة الجمال بكران مديان ،

(١) سورة النساء : ٢٦ .

وعيفة كلها تأتي من شيا تحمل ذهباً ولباناً ، وتبشر بتسابيح الرب ،
وكل غنم قيذار تجتمع إليك ، وكباش بنايوت تخدمك .

تصعد إليك مقبولة على مذبحي . وأزين بيت جمالي [.

وننتقل من أشعياء النبي إلى حزقيال لتجده يبشر بالنبي ، صلى
الله عليه وسلم ، في سفره ، حيث يشير إلى جزيرة العرب وأرض
الحجاز التي يظهر فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلى ما كان
سائداً من عقائد فاسدة في شبه جزيرة العرب قضي عليها الإسلام :

[إن الذي يظهر في البادية (الصحراء) كالسكرمة : أخرجت
ثمارها وأغصانها عن مياه كثيرة ، وتفرعت منها أغصان مشرقة
على أغصان الأكارب والسادات ، وبقيت ، فلم تلبث تلك السكرمة
أن قلمت السخطة ، وضربها على الأرض فأخرجت ثمارها ،
وكذلك غرس في البدو في الأرض المهمة المعلقة المعطشى ،
في أرض غير ذي زرع - تلك السكرمة] .

من الذي ظهر في البادية (الصحراء) ؟

الجواب : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم : من الذي أروى العطش ، وحرر العبيد ، وأعاد للناس

الكرامة بعد الذل ، وبيّن قيمة الإنسان ؟

إنه هو الإسلام الذي جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه .
وهذا ما بشرت به أسفار التوراة ، وهذا ما سجله أنبياء
بنى إسرائيل في كتبهم : بشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

فالنبي صلى الله عليه وسلم من سلالة إسماعيل وهاجر ..
وهو : النبي البشير . النبي النذير . النبي المتوكل . النبي الزمروف .
النبي البار . النبي الذى حطم الأصنام . النبي الصادق . النبي الوفى .
النبي العادل . النبي الحق . صاحب شريعة الحق .

النبي الذى علم الله به بعد جهالة ، والذى أُنْف به قلوباً مشتتة ،
وأماماً متفرقة ، والذى رفع الله به بعد جهالة ، وهدى به بعد ضلالة .
النبي الذى أسماه ربه : المتوكل ، وأسماه أحمد ، ليس بِفَظٍّ
ولا غليظ ، ولا صخباب فى الأسواق ، ولا قوَالٍ لِإِخْنَا .

زَيِّنَهُ اللهُ بِكُلِّ جَمِيلٍ ، وَوَهَبَ لَهُ كُلَّ خَلْقٍ كَرِيمٍ ، وَجَمَلَ اللهُ
السَّكِينَةَ لِباسه ، وَالْبِرَّ شِعَارَهُ ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ .

وَصَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ ، إِذْ يَقُولُ فى كِتَابِهِ الْكَرِيمِ :

﴿ .. الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (١)

وها نحن وقد صدقنا الله - عز وجل - أنه مكتوب فى التوراة ،
فعلينا أن نذهب إلى الإنجيل ، لا لأننا لم نُؤْمِنْ بعد ،
ولكن لتطمئن قلوبنا ، ونقيم الحجَّة على الذين يشككون
فى نبوته ، صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ .

بشارة المسيح بمحمد

صلى الله عليه وسلم (١)

يقول السيد المسيح عليه السلام : إنه جاء ليكمل ناموس موسى والأنبياء ، ولذا أصبحت كتب المسيحية المقدسة - لديهم - هي ، العهدان : القديم ، والجديد .

وهكذا فإن أسفار العهد القديم كلها مقدسة لدى المسيحيين ، لأنهم يعتمدون على ما ورد فيها - في إثبات حقيقة المسيح وولادته وأوهيته وصلبه - إلى غير ذلك مما زعموه في كتبهم ، كالأنجيل والرسالات والأعمال التي قام بها تلاميذ المسيح ، وسميت بالعهد الجديد .

ولو رجعنا إلى هذه (الكتب المقدسة) التي توجد بين أيدي مسيحيي العالم ، على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم وعقائدهم ، وأمعنا النظر فيها - بصرف النظر عن عقيدتنا ، فيما طرأ عليها من تحريف وتعكير - لاستظفرونا بعض الحقائق بين طياتها ، أخطأها أيدى العبث رغماً عنهم ! .. وهذه الحقائق تشير بإشارات صريحة إلى أن نبيّاً سيأتي بعد المسيح ، يكون من صلب إسماعيل ومن بطن هاجر .

(١) هذا العنوان والباب كله من كتاب « سرّ إيمانى » للمؤلف من ص ١٠٠ - ١١١ مع إضافات جديدة لم ترد بالكتاب المذكور .

وللدخول إلى كتب المسيحية ، بعد أن تعرضنا إلى أسفار العهد القديم ، نقف أمام « إنجيل يوحنا » الذي يقص علينا أن يوحنا المعمدان عندما ذهب ليعمد الناس من نهر الأردن ، وكان المسيح عليه السلام قد ظهر وأطل اليهود زمانه ، فتصدى اليهود ليوحنا ، إذ كان مكتوباً عندهم في التوراة أن المسيح آتٍ ، وسيأتي من بعده نبي .

[فسألوه : فما بالك تعتمد إن كنت لست المسيح]

ولا إيليا ، ولا النبي ؟ (١)

من هذا السؤال نستطيع أن نستنتج أن هناك نبيًا بشرت به الكتب لدى اليهود والمسيحيين .

وحيث أن السؤال كما في عهد السيد المسيح ، وأن إيليا كان نبيًا من أنبياء بني إسرائيل جاء بعد موسى وقبل المسيح - قيل إن إيليا هو الذي أوجد فكرة التعميد التي كانت جزءاً من دعوته - إذن فالنبي هو الذي سيأتي بعد المسيح .

والذي أتى بعد المسيح هو : محمد صلى الله عليه وسلم :

« الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ » (٢)

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول فقرة : ٢٥ .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٧ .

وَقَدْ حَقَّقْنَا - فِيمَا سَبَقَ (١) - أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ ،

فَهَلْ هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ ؟

نعم ! موجود عندم في أسفار العهد الجديد .

وردت في هذه الرسائل ، والمكتوب منها باللغة القبطية ،

كلمتا : « الفاراقليط » ، و « مِسِيَّا » .

الأولى : وردت في إنجيل مخطوط كتبه أحد البطارقة ،

نقلًا عما يسمى بإنجيل المسيح عام ٥٠٦ بعد الميلاد (الإنجيل المخطوط

منزوع الغلاف وهو بين يدي) ..

وقال كاتبه في ديباجته : إنه نقلًا من أصول الإنجيل الحقيقي .

ولقد أورد العبارة التي معناها بالعربية - وهي على لسان المسيح

عليه السلام - إذ يقول المسيح :

[الْآتِي بَعْدِي يُسَمَّى : الْفَارَاقْلِيْطُ بِنْدِ كِرَاطُورِ

- أَيْ : الرُّوحُ الْمُنْبِثُ اسْمُهُ مِنْ اسْمِ الْحَمْدِ -

سَيَبْعَتُ الْحَيَاةِ فِي أُمَّةٍ لَيْسَتْ لَهَا مِنَ الْحَيَاةِ نَصِيبٌ

إِلَّا الضَّلَالُ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ ، كَجِحَاشِ الْأَثْنِ] .

وقد سبق أن أشرنا - في الفصل السابق - أن برية فاران ،

هي : جبل شبه جزيرة العرب .

(١) في الباب السابق .

وأما الكلمة الثانية (مَسِيحًا) فقد وردت في إنجيل برنابا ،
ومعناها : الرسول الخاتم .

وقبل أن نستطرد في ذكر الشواهد على نبوة النبي ، صلى الله
عليه - وآله وصحبه - وسلم ، نضع بين يدي القارئ فكرة عن
إنجيل برنابا ، الذي حرّمت المسيحية قراءته مع أناجيل أخرى .

فيذكر التاريخ أن هناك أناجيل كثيرة حرّمت قراءتها
الكنيسة ، كما يذكر التاريخ أمراً أصدره « البابا جلاسيوس
الأول » الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ م يُدَد فيه
أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها ، ومن بينها كتاب يسمى
« إنجيل برنابا » . و « البابا جلاسيوس » سار على سُنَّة أسلافه ،
وجرى على سنته بعده أخلافه . .

وعلى هذا ، فإن إنجيل برنابا كان معروفاً ومتداولاً قبل بعثة
المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، بأكثر من قرنين .

وبرنابا كان من حواريّ المسيح قبل غيره من التلاميذ ،
وإنجيله خالف ما عليه المسيحيون في أمور كثيرة ، نذكر منها
ما نحن بصدده ، وهو الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) قال إن مَسِيحًا هو : محمد ، وقد ذكر محمداً باللفظ الصريح
المتكرر في فصول ضافية ، وقال إنه رسول الله ، وإن آدم لما
خرج من الجنة ، رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرف من نور :

« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .

ولقد قال المسيح ، كما جاء في إنجيل برنابا :

[إِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي يَفْعَهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيَّ ،

تُظْهِرُ أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ .

وَأَسْتُ أَحْسَبُ نَفْسِي نَظِيرَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ ؛

لِأَنِّي لَسْتُ أَهْلًا لِأَنَّ أَحِلَّ رِبَاطَاتِ

- أَوْ سَيُورَ - حِذَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ، الَّذِي تَسْمُونَهُ :

« مِيسِيَّا » .. الَّذِي خَلَقَ قَبْلِي ، وَسَيَأْتِي بَعْدِي

بِكَلَامِ الْحَقِّ ، وَلَا يَكُونُ لِدِينِهِ نِهَائِيَّةٌ] .

(٢) وإناك لتجد كلاماً وافياً بالتبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم ،

لأن التلاميذ طلبوا من المسيح - عليه السلام - أن يُصرِّح لهم به ،
فصرِّح بما يعلمن له حقيقته ، ويبين ما له من شأن (١) .

(٣) في نفس الإنجيل ورد على لسان المسيح عليه السلام أن الله

خاطب آدم عليه السلام ، لينبئه بقدوم محمد صلى الله عليه وسلم ،
بعد أن عرض عليه صورته ، التي بهرت آدم وسمع قول الله له (٢) :

(١) إنجيل برنابا : الإصحاحات ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) المصدر السابق : الإصحاحات ٤٥ ، ٤٦ .

[وقال الله : يا عبدى آدم :

إني أقول لك إنك أول إنسان خلقتُ .

وهذا الذى رأيتهُ ، إنما هو : ابنك ،

الذى سيأتى إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة .

وسيكون رسولى ، الذى متى جاء سيعطى النور - نور العالم -

الذى كانت نفسه موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة ،

قبل أن أخلق شيئاً] (١) .

(٤) وورد فى الإنجيل نفسه ، أن آدم تضرّع إلى الله :

[يا رب ! هَبْنِي هذه الكتابة على أظفار أصابعي .

فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه :

على ظفر الإبهام اليمنى : « لا إله إلا الله » ،

وعلى ظفر الإبهام اليسرى : « محمد رسول الله » .] (٢)

(٥) كما أورد برنابا فى إنجيله : [رسول الله - متى جاء -

يعطيه الله بمثابة خاتم يده ، فيحمل خلاصاً ورحمة للأمم الأرض الذين

يقبلون تعاليمه ، وسيأتى بقوة على الظالمين ، ويُبيد عبادة الأصنام ،

بحيث يُخزى الشيطان ، لأنه هكذا وعد الله إبراهيم] (٣) .

(١) الإصحاح ٤٥ من المصدر السابق .

(٢ ، ٣) الإصحاح ٤٦ من المصدر السابق .

(٦) وعلى لسان المسيح - عليه السلام - أُورد برنابا في إنجيله :
 [لذلك أقول لكم : إن رسول الله بهاء يزدان بروح الفهم
 والمشورة ، وروح الحكمة والقوة ، وروح الخوف والمحبة والرحمة ،
 وروح العدل والتقوى ، وروح التبصر والاعتدال ، وروح الصبر
 واللطف الذي أخذ الله منها (١) ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه ؛

وَمَا أَسْمَعَدَ الزَّمَنَ الَّذِي سَيَأْتِي فِيهِ لِلْعَالَمِ !

صَدِّقُونِي ! إِنِّي رَأَيْتُهُ ، وَقَدَمْتُ لَهُ الْإِحْتِرَامَ ،

كَمَا رَأَاهُ كُلُّ نَبِيٍّ ، لِأَنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِمْ رُوحَهُ : مُبَوَّءٌ ..

وَلَمَّا رَأَيْتُهُ ، اِمْتَلَأْتُ عَزَاءً [(٢)] .

ونختتم كلام إنجيل برنابا ، بما جاء على لسان السيد المسيح
 عليه السلام :

[إن كلامكم لا يُعزِّبني ؛ لأنه يأتي ظلام حيث تَرَجُونَ النور ،
 ولكن تعزيبني هي في مجيئه الرسول الذي سيبيد كل رأى كاذب ،

وَسَيَمْتَدُّ دِينُهُ ، وَيَعْمُ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ ؛

لِأَنَّهُ هَكَذَا وَعَدَّ اللَّهُ آبَانَا إِبْرَاهِيمَ ،

وإن ما يُعزبني ألامنهاية لدينه ؛ لأن الله سيحفظه صحيحاً !

(١) أي أعطى الله منها لرسوله . (٢) الإصحاح السابق .

حينئذ رفع الجموع أصواتهم قائلين :
(يا الله ! أرسل لنا رسولك .

يا محمد ! تعال سريعاً لخلاص العالم) . [(١)

ورُبَّ قائل يقول : إنك ذكرت أن المسيحيين يرفضون ،
بل إنهم حرّموا قراءة إنجيل برنابا ، فهل لديك ما يؤيد قوله ،
مما بين أيديهم من أناجيل ؟ أقول : نعم !

بل يزداد الأمر وضوحاً حينما تدخل إلى الأناجيل التي بين أيدي
المسيحيين : فترى أن السيد المسيح يشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم
- في أكثر من موضع - على أنه الحجر الذي رفضه البناءون تارة .
وتارة يُشير إلى أن الكتاب الذي نزل على محمد ، صلى الله
عليه وسلم ، هو القرآن الكريم الذي يكون : الكلّ أى المتمم
الخاتم لجميع الكتب السماوية .

وتارة أخرى يشير إلى أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم على أنها
الأمة التي ستتزع ملكوت السموات ، وتعمل له ، وتجنّي إيماره .
ومرة أخرى يشير إليه على أنه روح الحق المُعزّي الذي
يرشد الناس إلى جميع الحق ، الذي لا ينطق عن هوى ،
إنما هو وحى يوحى إليه .

(١) المصدر السابق : إصحاح ٩٧ .

فقد جاء على لسان السيد المسيح :

[أما قرأتم قط في الكتب ، الحجر الذي رفضه البناءون ،

هو قد صار رأس الزاوية من قبيل الرب .

كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا .

لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ،

ويعطى لأمة تحمل ثماره (١) .

ومن هذه العبارة يتضح : أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو :

(١) الحجر رأس الزاوية (٢) الذي رفضه البناءون

(٣) وقد صار رأس الزاوية من قبل الرب (٤) وأن ملكوت

الله ينزع من قوم المسيح ، ويعطى لأمة تحمل ثماره .

وواضح من الواقع التاريخي البحت ما يلي :

(١) محمد صلى الله عليه وسلم هو رأس الزاوية الذي

رفضه العرب واليهود والمسيحيون في بداية الدعوة ، لأنهم لا يعرفونه .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم صار رأس الزاوية من قبيل

الرب ، فأمن به العرب والعجم ، وتحطمت تحت قدميه الأصنام

وعروش الطغيان ، ونصره الله نصراً عزيزاً .

ويقول عن نفسه : إنه المتمم لبناء الأنبياء من آدم حتى المسيح .

عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

(١) متى : الإصحاح ٢١ الفقرتان ٤٢ ، ٤٣

في حديث شريف بقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي :

كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَحَسَمَهُ وَجَعَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ (١)
فَجَعَلَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، وَقَالُوا : لَوْ أَنَّهَا وُضِعَتْ ا
فَأَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ . »

(٣) ملكوت الله يُنزع منكم ، ويعطى لأمة تحمل ثماره :

يشرحها القرآن الكريم ، حين يشير إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم
بقوله تبارك وتعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ،
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . ﴾ (٢)

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ،
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ،
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾ (٣)

. (٢) سورة آل عمران : ١١٠ .

(١) طوبة .

(٣) سورة البقرة : ١٤٣ .

وفي نفس الإنجيل (متى) يشير المسيح إلى القرآن الكريم ،
الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم :
[... فأبى الحق أقول لكم ، إلى أن تزول السماء والأرض ،
لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس ،
حتى يكون الكل] (١) .

والكل هو القرآن الكريم الذي نُزِلَ على محمد ، وهو الحق
من ربهم ، فيه نبأ ما قبلكم وما بعدكم ، فيه هدى للمتقين ،
تبييناً لكل شيء ، فيه تنظيم الدنيا والآخرة ، نزل على قلب بشر
لم يؤت من قبل فنون الكلام ، نزل به الروح الأمين .
والمسيح لم يأل جهداً في التبشير بمجيء النبي صلى الله عليه
وسلم ، وقد سماه روح الحق الذي يحمل بين يديه العزاء للعالم
كله ، والرحمة للعالمين . وهذا ما يقوله المسيح عليه السلام :

[إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي ، فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ ...
وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ ، فَيُعْطِيَكُمْ مَعَزِيَا آخَرَ ،
لِيَمَكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ : رُوحُ الْحَقِّ الْمَعَزِي
الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ الْعَالَمُ ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ] (٢) .

(١) الإصحاح الخامس : ١٧ - ١٨

(٢) إنجيل يوحنا : الإصحاح ١٤ فقرة : ١٥ - ١٧

وإشارة المسيح تحمل معنى واحداً لا يحتمل أى تأويل : هو أن ذلك الروح الحق المعزى جاء للناس كافة ، لأن كلمة الله تشير إلى الجمع أى إلى أهل الأرض جميعاً ، بمن فيها من إنس وجان .
وقد أراد بعض أعداء الإسلام أن يضربوه بسهامهم ، فارتدت تلك السهام إلى نحورهم ، أرادوا بالإسلام كيداً فإذا هم الأخرسون ، أرادوا أن يقولوا : إن الروح هو كتاب من عند الله .. فجاءت إشاراتهم إلى القرآن ، وهم لا يعلمون .

فإذا كان الرُّوح بشراً نبيّاً ، فهو محمد المرسل رحمة للعالمين ، ولن ترضى عنه اليهود ولا النصارى ، كما جاء أن العالم سيرفضه لأنه يرفض أن يتبع ملّتهم التى استحدثوها بعد ، أو رفضوا هم المِلّة التى جاء بها المسيح . . . كما أنه مرفوض من أصحاب النار عبّاد الأصنام والأوثان .. ذلك لأن العهد الذى بُعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم كان يخلو من المؤمنين ؛ فلم يكن إلا عابداً وثن ، أو ساجداً لنار ، أو متبتل لحيوان ، أو كتابيٌّ منحرف عن الملة الحق . ولهذا كان العالم شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً - متحضراً أو بدوياً - فى حاجة إلى مُنقذ ، مما اقتضت حكمة الله توفيت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ليحرر العقول من الضلال ، وبفك القيود والأغلال .. وبذلك يكون روح الحق المُعزى لهذا العالم - بجميع طوائفه وأجناسه ، وألوانه ، ولغاته ، وعبادته وطقوسه ، وأوهامه - بشيراً ونذيراً .

وصدق الله العظيم الموحى إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ،

وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ *

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ ،

حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿١﴾

وإن كان كتاباً مـنزلًا من عند الله ، فهو القرآن الذى

عن بعض صفاته :

• ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ، لَا رَيْبَ فِيهِ ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، مُصَدِّقًا

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (٣)

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ، فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ

حَرَجٌ مِّنْهُ ، لِتُنذِرَ بِهِ ، وَذِكْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)

﴿ الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ، ثُمَّ فَصَّلَتْ ،

مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٥)

(١) سورة البقرة : ١١٩ ، ١٢٠ (٢) سورة البقرة : ٢

(٣) سورة آل عمران : ٣ (٤) سورة الأعراف : ٢

(٥) سورة هود : ١

﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرَةً
لِّمَن يَخْشَى ﴾ * تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿ (١) .

هذا قليل من كثير مما وصف الله به كتابه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الدليل الأقوى على نبوته .

والمسيح يبصر أمته - كما سنذكر - بأن لديه أسراراً كثيرة تفوق طاقة احتمالهم ، وأنه سيأتي الوقت المناسب لحجبه الرسول الذي يعنيه بالروح الحق ؛ فتكون العقول قد فتحت ، والقلوب قد ذهب عنها رينها ، والنفوس قد ألهمت تقواها بعد فُجورها .

في هذه اللحظة فقط ، يكون الناس قد استعدت أفهامهم ، واتسعت مداركهم لاحتمال كل ما يُلقي إليهم على حساب هذا النبي الذي لا يتكلم من نفسه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ .

وفي هذا يُشير المسيح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، أوحى الله إليه بالقرآن الذي قال فيه :

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ، لِتَقْرَأَهُ
عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْتَبٍ ، وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (٢) .

(١) سورة طه : ١ - ٤ (٢) سورة الإسراء : ١٠٥ - ١٠٦

هذا معنى ما قال السيد المسيح عليه السلام (١) :

[إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا ، لِأَقُولَ لَكُمْ ،

وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ .

وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَلِكَ رُوحُ الْحَقِّ ،

فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ ،

لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ ! . . .

بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ ، يَتَكَلَّمُ بِهِ ،

وَيُنْخَبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ ! . . .]

إذن فالإنجيل قد بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا ،
خاتمًا لبناء الرسالات . . . كما بشر بأنه سيوحى إليه من الله بكتاب
مُتَّعَمٍّ لناموس الأنبياء ، هو : محمدُ الرُّوحِ الْمُعْزِزِي ، هو الحجر رأس
الزاوية ، هو الهادي إلى صراط الله العزيز الحميد .

* * *

اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ، فقد حوت رسالته أخبار

السموات والأرض ، كما قال المسيح عليه السلام :

(١) إنجيل يوحنا : الإصحاح ١٦ فقرة ١٣ .

[لَكِنِّي يَتِيمٌ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ :
 سَأَفْتَحُ فِيهِ بِأَمْثَالٍ ، وَأَنْطِقُ بِمَكْنُونَاتٍ ،
 مُبْنِذٌ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ] (١) .

وهو النبي عليه الصلاة والسلام الذي قال عنه المسيح عليه السلام :
 [أَمَّا الْمُعَزَّى الرَّوْحُ الْقُدُّسُ ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ ؛
 فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ
 قُلْتُهُ لَكُمْ] (٢)

وقبل انتهاء حياة المسيح - عليه السلام - هَيِّأَ البشرية لاستقبال
 المعزى عليه الصلاة والسلام :

[وَأَمَّا الْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أُرْسَلُنِي . إِنَّهُ خَيْرٌ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ ؛
 لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ ، لَا يَأْتِيكُمْ الْمُعَزَّى] (٣)

ويقول يوحنا في إصحاحه الخامس عشر الفقرة ٢٦ مشيراً
 إلى أن المعزى سيشهد للمسيح بالنبوة :

[وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزَّى : رُوحُ الْحَقِّ ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي . . .]

(١) إنجيل متى : إصحاح ١٣ الفقرتان ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) إنجيل يوحنا : إصحاح ١٤ ، الفقرة ٢٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ ف ٥ - ٧

أُمِّيَّة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تزعم الكتابات المضللة أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن أمياً ، وذلك بهدف الوصول إلى أن القرآن من عنديات محمد عليه الصلاة والسلام . . . وما دام من تأليفه ، فإنه ليس نبياً ، ولم يُوحَ إليه !

والعجيب في الأمر أني رأيت بعض هذه الكتابات تستشهد بقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخْطُهُ يَمِينِكَ ، إِذَا لَأْرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

وهذا الاستشهاد نفسه هو من معجزات ربِّ مُحَمَّد الذي يُريدُ أن يفضحهم ، ويحول بينهم وبين ما يريدون ، لأن هذه الآية تنقَى على اليهود إنكارهم ما جاء في كتبهم ، وتكشف الأستار عن مؤامراتهم .

وهذه الآية الكريمة التي أرادوها حُجَّة لهم ، هي بكل وضوح حجة عليهم ، يُسجَلُ الحقُّ تبارك وتعالى أن محمداً لم تسبق له معرفة القراءة ، ولم يقرأ إنجيلاً أو توراة ، من قبل أن يُوحَى إليه بالقرآن الكريم ، ولم يستعمل قلماً يخطه يمينه . . .

(١) سورة العنكبوت : ٤٨ .

ولو عرف عنه أهل الكتاب في عصره ، ولو عرف أعداؤه
من العرب ، لاحتجّ أهل الكتاب بأنه لا تنطبق عليه أوصاف
النبي الذي بشرت به كتبهم :

﴿ ... الرَّسُولَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ .. ﴾ (١) .

وإذن لاتخذ أعداء النبي صلى الله عليه وسلم - من العرب -
معرفة القراءة والكتابة سلاحاً لتكذيبه ، وقالوا - وخاصة أبو جهل
وأبو لهب وأمّية بن خلف وأمّثالهم من سادة قريش ، حينما سمعوا
من حوار الوحي بين الرسول وجبريل عليه السلام ﴿ اقرأ ﴾
﴿ ما أنا بقارئ ﴾ - كيف تكون نبياً لله ، وأنت تكذب على الله
وتقول : ﴿ ما أنا بقارئ ﴾ ؟ !

إذن فسكوت العرب - أعداء النبي صلى الله عليه وسلم - إثبات
للأمية ، ذلك لأنهم يعرفون أن أهل الكتاب يتهمونه بالافتباس
من (بَعْدِي) الزاهب ، أو من (جِرا) الرومي . . .
ولهذا فإن علمهم بأمية النبي أسكتهم عن مُسَايَرَة
أهل الكتاب فيما يقولون ، في الوقت الذي يبحثون فيه عن نقطة
ضعف ، يُشيعون بها حقدهم على محمد صلى الله عليه وسلم ! . .

(١) سورة الأعراف : من الآية ١٥٧

وسكوت مدعى النبوة عن الادعاء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان قارئاً أو كاتباً هو من الأدلة الثابتة ؛ لأن مدعى النبوة كان يهتهم إسقاط دعوة محمد ﷺ بأى وسيلة من الوسائل ، بل كانوا يتلتمسون لذلك الطرق ، حتى يخلو لهم الجو ، فيؤمن الناس بنبوتهم (١) .
واسكنهم مع علمهم بما قال أهل الكتاب ، فإنهم لم يستطيعوا مسايرتهم ، وإلا ظهر كذبهم وسط العرب ، وانهدرت نبوتهم ، إذ أنهم سيدعون بحديث يعرف العرب أنهم فيه كاذبون ، إذ أن قريشاً وما جاورها - وما حالفها من عرب - يعرفون محمداً النبي الذي نشأ أمياً ، لا يعرف القراءة والكتابة .

ولكى تُدلل على عصبية العرب وتعصبهم ضد النبي صلى الله عليه وسلم ، نقول : هذا هو مسيلة الكذاب ، وقد قصده طلحة النمرى ، وسأل عنه قومه قائلاً : أين مسيلة ؟ فصاحوا به أن يذكر أنه رسول الله . ثم قادوه إليه . فحاوره قليلاً ، وتبين له سخفه . فقال له : أشهد أنك كاذب ، وأن محمداً الأئمة صادق ..
ولكن كذاب ربيعة ، أحب إلينا من صادق مضر !

(١) فنشوب الردة في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته - مع اختلاف ثقافات المتبعين ومناهجهم ومواطنهم - ثم فشلهم جميعاً فشلاً نهائياً ذريعاً وسريعاً . كل ذلك في ذاته إنما هو برهان ، بل براهين أضافها واقع التاريخ ، على صدق النبوة المحمدية وإعجازها .

فهذه شهادة العدو المتعصب تمصباً قبيحاً ، عاطفياً وطنياً ، الذي شهد بصدق محمد الأُمِّي ، ولكنه يفضل عليه الكذاب الربيعي .
 فهل لو كان محمد يقرأ أو يكتب ، ولم يكن أمياً : أكان طلحة النمري كذب مسيلة - من بنى جلدته - فيسكت دون تكذيبه ؟
 إذن فهذا دليل على أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى أن الأُمِّيَّ قام بإقامة دولة ، ما كانت تقوم إلا إذا كان هذا الأُمِّي مؤيداً من قوة علياً . . . وهذا ما قاله الكاتب المستشرق « كارليل » في كتابه عن الأبطال :

(. . . وقد شاهدنا أناساً - وما كان أكثرهم أميين - قاموا في أمة العرب ، وادّعوا النبوة ، منهم « مسيلة » الذي ادعى أنه قرين محمد ، أتى بسورة سخر منها العرب . . . ولكن القرآن الذي نزل على محمد ، انحمت له الجباه : جباه الأعداء قبل المؤمنين !)
 وصدق الله العظيم :

﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي : مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ .. ﴾ (١) .
 إذن كيف يُعَرَّبُ الأُمِّيُّ القرآن من الأعجميين بلسان عربي مبين ؛ إلا أن يكون ذلك غموض في خيال مختل ، لأنه شيطان رجيم ؟ !
 ولكنه خاب فأله حين ظن - بنزاهته المزعومة ، وبجسه الذي حشاه بالضلال المبين - أنه سيتلاعب بعقول الأولين والآخريين .

الرسول الواثق من دعوته

﴿ وَلَقَدْ تَعَلَّمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ
لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ،
وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١)

صدق الله العظيم

بعد أن سقطت دعوى عدم أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وبعد أن ردّ الله كيد الكافرين بثبوت أميته ، أصرّ أصحاب
الكتابات المُفرضة على الاستمرار في الكذب والافتراء ، فقالوا :
إن عهداً كان كثيراً ما ينشكك في نجاح دعوته ، وكان يستنجد
بأهل الكتاب ليدفموا عنه هذا الشك والارتياب ، ولذلك كان
يحاول كسب مودتهم ، بالثناء على دينهم ، وامتداح ما جاء
في التوراة والإنجيل ..

ولردّ على هذا الافتراء نقول : لم يثبت تاريخياً ، أو على لسان
أحد ، أن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، تسرّب إليه شكّ
في الرسالة التي بعثه الله بها ، من يوم نزول الوحي عليه
- في غار حراء - حتى انتقله إلى الرفيق الأعلى ..

(٢) سورة النحل : ١٠٣

وإن كان لا بد من إقامة الدليل ، فأليك سؤال وجهه الإمام :
على - كرم الله وجهه - إلى الرسول ، عليه أزكى الصلاة والسلام :
(ما سئمتك ، يا رسول الله ؟)

أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم :

« الْمَعْرِفَةُ : رَأْسُ مَالِي ، وَالْعَقْلُ : أَصْلُ دِينِي .

وَالشُّوقُ : مَرَكَبِي ، وَذِكْرُ اللَّهِ : أُنَيْسِي ،

وَالثِّقَةُ : كَنْزِي ، وَالْفَقْرُ : فَخْرِي ، وَالزُّهْدُ : حِرْفَتِي ،

وَالْيَقِينُ : قُوَّتِي ، وَالطَّاعَةُ : حَسْبِي ، وَالْجِهَادُ : خُلُقِي ،

وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . »

من هنا يتضح للعيان أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،
ما كان يشك في نجاح دعوته ، وهو يعرف الله الذي بعثه بدين
حرر العقل ، فجعله أساس تقبل الدعوة . . هو العقل الواعي الذي
يدفع المؤمن إلى حب الله والثقة به ، فيوقن المؤمنون ، ويذكر
الذاكرون ، فيجاهدون النفس ، ويتحقق الفناء في الله ، بعد
جهاد النفس والمغريات ، فينسابقون إلى رضا الله ، زاهدين في
الحياة ، وقُرَّة أعينهم في الصلاة ، وهم لرُبهم رُكعُ سجود ، حتى
يرضى الله عنهم ، ويرضوا عنه : أُسْوَةٌ برسولهم ، وعملا بسنته .

وإلى دليل آخر على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ،
بعضنا لنا البصر والبصيرة ، لنرى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،
وإنما كل الثقة في الله الذي ينصر رسوله .

* * *

بعد أن بثت قريش من إثناء محمد ، صلى الله عليه وسلم ،
عن دعوته ، وفشلت في إيقاف التيار الجارف للدعوة ؛ إذ لم تلن
للمؤمنين قناة أمام سياسة التجويع والتعذيب ، والتنفى والتشريد ،
وبعد أن أيقن أعداء الإسلام أن هذه السياسة من أكبر العوامل
التي تزيد المؤمنين تمسكاً بمحمد صلى الله عليه وسلم ودعوته ودينه
وربه ، لم تجد قريشُ بُدًا من تجربة الترغيب ، بعد أن أثبتت سياسة
الترهيب عدم جدواها ، فأرسلت إلى سيد الدعاة صلوات الله وسلامه
عليه من يعرض عليه المال والعطيب والسيادة .. واختاروا لهذه المهمة
« عتبة بن ربيعة » ، وكان يمتاز بالهدوء والرزانة وحسن التقام ..
فتحدث إلى الرسول ﷺ بكل ما أوتى من فنون الكلام ،
وأساليب الترغيب ، مع جزالة اللفظ ، وتصوير الآمال والأمانى .
فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفرغ من حديثه ،
ثم تلا صدر سورة (فصلت) :

(حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم *
كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون *)

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ *
 وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ
 وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ * قُلْ : إِنَّمَا
 أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ،
 فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ، وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * ﴿١﴾

حتى وصل صلى الله عليه وسلم إلى قوله تبارك وتعالى :

﴿ فَإِنِ اعْرَضُوا ، فَقُلْ : أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً ،

مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ﴿٢﴾

وفي رواية أخرى : أن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ،

تلا سورة (السجدة) :

﴿الْحَمْدُ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ *
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ، لِنُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿١﴾

(٢) سورة فصلت : ١٣

(١) سورة فصلت : ١ - ٦

(٣) سورة السجدة : ١ - ٣

فلو كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه مشككاً في دَعْوَتِهِ
- كما يَزَعُمُ الزاعمون - لَمَدَّ يَدَهُ إِلَى مَنْ جَاءُوا يُفَاوِضُونَهُ ،
بعد أن ناصبوه العداة .

وأين كان أهل الكتاب في هذا الوقت ، وقد أجمع المؤرخون
هرفاً وغرباً على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلتق بأهل الكتاب
- من قريب أو من بعيد - إلا بعد الهجرة إلى المدينة ، وقد بدأت
بوادئ النصر للدعوة والداعية ، وأهرق نور الإسلام عزيز الجانب .

ولئن استغلّ المفترون أوامر الله عز وجل في القرآن الكريم
بحسن معاملة أهل الكتاب ، مما أغرام أن يقولوا : إن مجداً صلوات
الله وسلامه عليه كان يحاول كسب أهل الكتاب إليه ، بالثناء
على دينهم ، وامتداح ما جاء في التوراة والإنجيل .

فإن كلمة الإسلام لم تكن العقيدة المحدودة الضيقة الشمول ،
بل تعنى أن الدين واحد ، لأن الله واحد ، تعنى أن رسالة الإسلام
هي الرسالة الجامعة للرسالات السماوية السابقة .

رسم الإسلام مبدأ التوحيد الخالص ، هذا المبدأ الذي رسمه
لرسله من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومبدأ التوحيد الخالص الذي جملة الله عقيدة الأمم جميعاً ،
صورته واضحة ، لا تشوبه شائبة بها .

ويجعل هذا الموضوع بحسب وعزم في سورة الإخلاص ،
إذ يأمر الله رسوله الخاتم :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ *

أَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

وهذه السورة التي قال عنها أكثر الشراح والمفسرين إنها
خلاصة القرآن الكريم ، لأنها تتعلق بطبيعة الله وجوهره ، وترسم
الصورة الحقيقية للتوحيد لله ، كما أنها دعوة لتوحيد فكري
وعقائدي بين السابقين واللاحقين

وبهذا يكون القرآن قد وضع القاعدة الأساسية إلى التمام
المشترك ، كما دعا إلى الكلمة السوية ، التي توقف الانحراف عن
دعوة الله الواحدة ، ودين الله الواحد :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ : تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ : أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ،

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ،

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (١)

إذن فالقرآن الكريم رسم طريقة جديدة للود . . إذ أن أعلى درجات الود لقوم ، هي دعوتهم إلى ما يُنجيهم من عذاب أليم ، ويدخلهم جنات النعيم ؛ فيكون هذا الود في حدود ما رسم الله ، بدون مجاملة على حساب العقيدة أو الدين . . ولهذا استثنى الله سبحانه وتعالى الذين ظلموا بكفرهم وهرمهم ، من المجادلة والمعاملة بالحسنى ، التي أمر المسلمين أن يجادلوا ويعاملوا بها أهل الكتاب :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ، إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ،
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ... ﴾ (١)

ولأن ما بعث به محمد ، بعث به الرسل من قبل - عليه وعليهم الصلاة والسلام - كان لا بد أن تكون المودة لأتباع موسى وعيسى وم أهل الكتاب المعاصرون لدعوة الإسلام ، فإن آمنوا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فسلام لا نبتغي الجاهلين ، وهذا ما عبر الله عنه بقوله تعالى :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ، مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ،
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ
مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ،

(١) سورة المشكيات : آية ٤٦

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَنِيًّا بَيْنَهُمْ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
 إِلَى آجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا
 الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٌ *
 فَلِذَلِكَ فَادْعُ ، وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ،
 وَقُلْ : آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ،
 وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ،
 لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ،
 اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿ ١١ ﴾ .

وبهذا نرى أن روح الإسلام السمحة واستعداده الجدي للتمام
 المشترك ، جملة دعوة للناس جميعاً إلى الإيمان بالله .

ولكن الإسلام يتميز - رغم سماحته هذه - بالحسم والثبات ،
 فلا يسمح لأنصاف الحلول مجالاً ، كما لا يسمح بأى انفاق مع
 الكافرين ، أو المشركين ، أو اليهود أو النصارى على حساب
 المبدأ .. ويسدو هذا الحسم واضحاً إزاء هؤلاء جميعاً في مواقف :

(١) إزاء الكافرين ؛ موقف حاسم :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ *

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ *

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ *

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿١﴾

(٢) إزاء المشركين ؛ تحذير منهم وإعراض عنهم ، فلا فائدة

في محاولاتهم :

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ،

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢﴾

(٣) إزاء من كفروا من اليهود ؛ لعنهم الله بكفرهم ،

ولعنتم رؤسهم :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٣﴾

(٢) سورة الأنعام : ١٠٦

(١) سورة الكافرون

(٣) سورة المائدة : ٧٨

(٤) إزاء من كفروا من النصارى ، لأنهم ألّوهوا المسيح عليه السلام ، وتبرأ المسيح - عليه السلام - منهم :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ، فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١)

(٥) أما المنافقون ، فإن الله قد فضح أمرهم ، وكشف من نفاقهم وكذبهم وخداعهم :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ، قَالُوا : نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ : إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢)

هذه أمثلة من الكتاب الكريم توضح الحسم ، وترد على الذين يقولون إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحاول كسب مودة أهل الكتاب ليدفع عنه الشك والريبة في دعوته ، التي واجهت الكثير من عنت أهل الكتاب ، الذين فنّد القرآن موافقهم ، بعد أن دعاهم بالحسنى .

(١) سورة المائدة : ٧٢ (٢) سورة المنافقون : ١

وعلى سبيل المثال : نورد بعض الآيات التي كشفت عن مستورهم :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ :

لَمْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (١)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ :

لَمْ تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ،

وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ : قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا

مُبَيِّنٌ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ

مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ،

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (٣)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ : قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ،

مُبَيِّنٌ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا :

مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ،

فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ،

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤)

(٢) سورة آل عمران : ٧١

(٤) سورة المائدة : ١٩

(١) سورة آل عمران : ٧٠

(٣) سورة المائدة : ١٥

كيف يمكن القول بعد ذلك بأن الرسول كان يستنجد بأهل الكتاب ، وخاصة أن الله سبحانه وتعالى يحذر المؤمنين منهم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا :

إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ،
يَرُدُّوكُمْ بِمَدِّ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (١) .

وفي الوقت الذي لا يُجامل فيه الإسلام على حساب المبدأ ، ولا يسمح بالتقارب على حساب الدين والعقيدة ، نراه أيضاً لا يسمح بالعدوان أو التعصب الطائفي ؛ فالمسلمون مطالبون دائماً بأن يحتفظوا بعلاقاتهم مع الآخرين ، بسمة الأفق ، ورحابته ، وأن يتعايشوا مع الناس - على اختلاف عقائدهم - في سلام .

ذلك لأن مبادئ الإسلام وقواعده ، هي من العموم والمرونة بحيث يستطيع المسلمون أن يواجهوا تفسيرات أوضاع الناس في مختلف المناطق والبيئات وفي كل العصور ، دون الخروج عن الخط العريض الذي رسمه القرآن الكريم ، ورسمته السنة الشريفة .

وهذا ما نراه في القرآن ، وما شاهدناه في تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ..

(١) سورة آل عمران : ١٠٠

وبعد انتقاله - صلوات الله وسلامه عليه - إلى ربه ، يشهد أنصار الإسلام وأعداؤه - على مرّ التاريخ - نماذج مشرقة لتعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم ، فى حدود الإطار الإسلامى الرفيع ، الذى رسمه الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ

فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ،

أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ،

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ ،

وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ، وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ ،

أَنْ تَوَلَّوهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(١) ﴿

ونسكتفى بهذا القدر . ونسأل القائلين :

هل لكم بعد هذا أن تقولوا : إن عهداً - صلى الله عليه وسلم -

كان يستنجد بأهل الكتاب ؟

(١) سورة الممتحنة : الآيتان ٨ ، ٩

ونلاحظ أن هاتين الآيتين - حسب الترتيب التسارىخى للقرآن

الكريم - قد وردتا والمسلمون بأوج القوة بعد الهجرة إلى المدينة بسنتين .

عاشا لرسول مبعوث من الله أن يستنجد بغيره ، بعد أن قال
الله - تبارك وتعالى - الذي بعثه :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ :

بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ،
وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ،
وَاللَّهُ يَنْصِبُكَ مِنَ النَّاسِ ^(١) .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى

وَدِينِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ،
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ... ^(٢) .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَآمَنُوا

بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ،
كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَأَصْلَحَ بِاللَّهِمْ ^(٣) .

(١) سورة المائدة : من الآية ٦٧ (٢) سورة الفتح : ٢٨ - ٢٩

(٣) سورة محمد : ٢

محمد : صلى الله عليه وسلم

وعلماء الشرق والغرب

إن الذين يقرأون الكتابات الصادرة عن الحاقدين على الإسلام
وَنَبِيِّهِ ، يشعرون - من أول وهلة - أنهم يتخبطون في أقوالهم ،
وكل ذلك ليصلوا إلى إقامة الدليل على كذب محمد ، صلى الله
عليه وسلم ؛ فقد اتهموه بالكذب ، رغم تيقنهم من صدقه ،
ولكنهم فيما يقرره الواقع المشهود منهم ، الشاهد عليهم ، ما بين
مأجور ، وحاقد ، ومخدوع ، أو مُخدع . . . وكل هؤلاء مرضى
القلوب والعقول ، لا خير في جدهم ، ولا طائل من وراء علاجهم !
ولكن لا مناص من الرد عليهم ، وإن زاد ذلك مرضهم ،
واستفحلت عِلَّتَمُ حتى يموتوا غيظاً وكمداً ، ولا يكون ذلك
إلا على لسان الباحثين المُنصفين من أهل مِلَّتَمُ أنفسهم !

وبين يدي الآن كتب لمؤلفين ومؤرخين وكتاب وفلاسفة

مسيحيين : شرقيين وغربيين .

فهذا كتاب (Clear Christ) « المسيح في وضوح »
للمؤرخ الألماني (Lodfig) « لودفيج » ، وقد جاء في النسخة
الترجمة للإنجليزية (الجزء الأول ص ١٧٣) ما نصه :

(ذهب وفد من مسيحيي العرب الذين كانوا يسكنون يثرب
إلى نبي العرب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ليناقشوه في دينه الجديد .

وذكر المؤلف أسماء ثلاثة كانوا على رأس الوفد ..

الأول : « عبد المسيح » ، وكان أمير قومه ..

والثاني : « آيثيوس » ، وكان مسجل أصول الأسر ،

وسلسلة النسب ..

والثالث : « ميتاؤوس » ، وكان أسقفاً وسط قومه يُشار إليه بالبنان .

وكان « ميتاؤوس » متعجباً .. ظهرت صورة عجرفته في امتطائه

ظهر بغلته ، وهو يحدث النبي ، صلى الله عليه وسلم ..

وفي جوار بغلته ، وقف أخوه « إيكوزناس » الذي استشاط

غضباً لظهور معجزة لهذا النبي ، بأن غاصت أرجل « ميتاؤوس »

في الرمال ، مما جعله يوجّه ألفاظاً نابية إلى محمد ، ﷺ .

لكن « ميتاؤوس » عذّب أخاه « إيكوزناس » ، قائلاً له :

« إن الكتب التي لدينا تقول إن هذا نبيّ !

ولولا فرقتنا وخوفنا من ضياع هيبتنا بين الرومان الذين

يُعيّنوننا بالأموال ، لاتبعناه وبشرنا به بين قومنا . »)

وبالرجوع إلى كتب السيرة الإسلامية ، وجدنا أصلاً لهذه القصة

في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، لابن هشام ، وزادت :

أن « إيكوزناس » أسلم ، وسُمّي : « كوز بن علقمة » ،

وبشر بما سمع من أخيه .

وفي نفس الكتاب في الصحيفة رقم ٣٠٨ من الجزء الثالث
أن أحد الرهبان قال :

(إن صفات محمد ، صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في
المحفوظات المختومة ، التي لا يمكن أن تكون في تناول اليد) .
ولم يُشير المؤلف إلى اسم الراهب ، ولا إلى اسم المكان
الذي حفظت فيه هذه المحفوظات .

ولندع هذا المؤلف الضخم ، إلى كتاب : « محمد رسول الله :
هكذا بشرت به الأنجيل » ، لمؤلفه المسيحي الشرقي المصري
« بشري زخاري ميخائيل » ليسانس فلسفة من جامعة عين شمس .
فقد جاء فيه تحت عنوان : محمد : وهل هو من عند الله ؟

(ما قيل في حقّ القرآن ، قيل كذلك في حق صاحب الشريعة
نفسه ، فقد اتهموه بالكذب ، على الرغم من تيقنهم من صدقه
واشتهاره به بينهم . وقصة تلقيبه بالأمين بينهم ، لا تخفى على أحد ..
ومحمد ، صلى الله عليه وسلم - كما شهد بذلك الأعداء قبل
الأصدقاء - كان المثل الأعلى السامى في أخلاقه وتصرفاته وأعماله ،
وإن هذه التصرفات والصفات من أهم العوامل في سرعة استجابة
الناس لدعوته : التّفنوا حوله ، وأنسوا له ، واطمأنوا لبقائه ،
وتقدّوا بالحديث معه ! ..)

ومما قاله المستشرق « سيبيل » في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن
في الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة عام ١٨٠٥ م ، ل :

(إنه كان ، صلى الله عليه وسلم ، حسن الوجه ذكياً ،
وكانت طريقته مرضية ، وكان الإحسان إلى المساكين شيمته ،
وكان يُعامل الكلّ بالخلق الحسن ، وكان شجاعاً مع الأعداء ،
وكان يعظم اسم الله تعظيماً قوياً ، وكان يشدد على المُفترين ،
والذين يرمون الأبرياء بتهمة الزنى ، وكذلك الزناة والقنلة
والطامعين وشهود الزور - تشديداً بليغاً ، وكان كثير الوعظ في الصبر
والوُدِّ والإحسان ، وتعظيم الأبوين والسيبار ، وتوقيرهم وتكريمهم ،
وكان عابداً مطمئناً للغاية . . .

وقد ظهر بين قوم لا كتاب لهم ، ولا حكمة فيهم ، فقد
كانت العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم برسالة العامة
قد انهدرت في جاهليتها إلى الضلالة والجهالة ، لا يفقهون من أمر
الحياة شيئاً ، ولا يُحسنون من العمل إلا الحروب والغارات لسلب
الأموال وسبي النساء ، وكانت لهم عادات ذميمة وأفعال منكرة . (١)



لعل أصدق تصوير لحال العرب في الجاهلية ، هو ذلك الذي
قرره « جعفر بن أبي طالب » أمام « النجاشي » : ملك الحبشة ، حينما
سأله عن دين الإسلام ، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم :

يروى ابن الأثير (١) :

(قال « جعفر » : كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونقطع الأرحام ، ونأتي الفواحش ، ونسبي الجوار ، وبأكل القوى منا الضعيف ! . . كنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعبادته . . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد - نحن وآباؤنا - من دونه من الحجارة والأوثان . . وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ؛ وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نُشرك به شيئا ؛ وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدّقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من عند الله :

فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ؛ وحرّمنا ما حرّم علينا ، وحلّلنا ما أحلّ لنا . . فمدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردّونا إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الحبائث . . فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجعنا في جوارك ، ورجونا ألا نُظلم عندك) (٢) .

(١) ص ٦١ ج ٢ . (٢) هذا ما نقلناه من كتاب

رسول الله : هكذا بشرت به الأنجيل (لمؤلفه : بشرى ز-

هذا تصوير للجوّ الخائق ، والأباطيل والفساد ، والمحطّاط العقل
الذى عبد الأحجار والوثنيات ، حتى أرسل الله محمداً صلى الله عليه
وسلم ليبشر الناس بعبادة الله ، وتسفيه الوثنية ، والشرك والبهتان ،
لإخراج الناس إلى حياة كريمة تتفق وكرامة الإنسان وتحريرو
العقل من قيوده وأغلاله .

وهذا ما حدا به « توماس كارليل » إلى أن يقول :

(قوم يَضْرِبُونَ فِي الصَّحْرَاءِ ، لَا يُعْتَدُّ بِهِمْ عِدَّةُ قُرُونٍ ! . .)
فلما جاءهم النبي العربي ، صاروا قِبْلَةَ الْأَنْظَارِ فِي الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ ،
وَكثُرُوا بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَلَّةً ، وَعَزَّوْا بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَذْلَاءً ؛
وَلَمْ يَسْكَدْ يَمْضَى قَرْنٌ وَاحِدٌ عَلَى الْإِسْلَامِ ، حَتَّى اسْتَضَاءَتْ أَطْرَافُ
الْأَرْضِ بِعَقُولِهِمْ وَعُلُومِهِمْ ! . .)

ولنعد إلى كتاب « محمد رسول الله : هكذا بشرت به الأنجيل »
للأستاذ بشرى زخارى ، ليقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم :
(. . . صرّح في أقوال كثيرة أنه قد سبقه رجال اصطفاهم الله
لمثل هذه الدعوة لهداية الناس . . . ولذا أمر ، فقال :

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ ،
وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي ، وَلَا بِكُمْ ،

إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ،
وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾

* وحد بين الأجناس والعناصر والألوان ، فدعا إلى أخوة بشرية عامة ، لا تفاضل فيها لأحد على أحد ، إلا بالتقوى والعمل الصالح . وهذا ما دعا « دودي » إلى أن يقول :

(أكان في مقدور رجل - ما لم يكن نبياً -

أن يأتي إلى الوجود بمثل هذه الأخوة العالمية ؟ !)

* حارب جميع العصبية وأبطلها ، وحلّ جميع العقد النفسية وأزالها ، ووضع مكانها حب الخير والتعاون والبر والشفقة ، وكان قلبه يخفق كلما رأى دليلاً من دلائل الخير في الإنسان والإنسان . ويقول صلى الله عليه وسلم في ذلك :

« لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَىٰ عَصَبِيَّةٍ ،

وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَىٰ عَصَبِيَّةٍ ،

وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَىٰ عَصَبِيَّةٍ . »

* يسأله يوماً أعرابي في بداوة جافة :

يا محمد : هل هذا المال مال الله ، أم مال أهلك ؟

ويتندر « عمر بن الخطاب » الأعرابي بسيفه ، يريد أن يُخزِم عليه !

(١) سورة الأحقاف : ٩

فيردّو النبي - صلى الله عليه وسلم - قائلاً :

« دَعَا يَا عُمَرُ . إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا . »

• يأتيه أعرابي ليبايعه يوم الفتح المبين - وهو في قمة القوة - فتأخذ الأعرابي الرهبة ، فيترمد بين يديه . . .

فيقول له مجد - صلى الله عليه وسلم - في بساطة أخاذه ،
تردّ الطمأنينة إلى قلب الأعرابي :

« هَوِّنْ عَلَيْنِكَ ! لَسْتُ بِمَلِكٍ . »

« إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ فِي مَكَّةَ . »

• يجعل السهر على مشاكل الناس ، والسعي لحلها ، عبادة . . .

ويقول صلى الله عليه وسلم في هذا المقام :

« لِأَنَّ أُمَّشِيَّ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَتِهِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ »

مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِي هَذَا شَهْرًا . »

ونعود إلى « توماس كارليل » ، ونصفي إلى ما قاله في حقّ

نبي الإسلام :

(إن من العار أن يُصنَى إنسان مُتمدّن من أبناء هذا الجيل إلى

وهم القائلين إن دين الإسلام كذب ، وإن محمداً لم يكن على حقّ)

لقد آن لنا أن نُحارب هذه الادعاءات السخيفة المحجلة ؛
فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ، ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر
قرناً من الزمان ، للملايين كثيرة من الناس .

فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة ، التي عاشت عليها
هذه الملايين وماتت ، أ كذوبة أو خديعة مخداع ؟ !

ولو كان الكذب والتضليل يرُوجان عند الخلق هذا الرواج
الكبير ، لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً ، وكان الأجر بها
ألا توجد . . .)

ويسأل « كارليل » : (وهل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن
يخلق ديناً ، يتفهمه بالنشر بهذه الصورة ؟)

ويُجيب « كارليل » :

(إن الرجل الجاهل لا يستطيع أن يبني من الطوب ، لجهله
بخصائص البناء .. وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كونه من
أخلاق هذه المواد . . . فما بالك بالذي يبنى بيتاً دعائه هذه القرون
العديدة ، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس ؟ !

ألا فليعلم الناس أن التعاليم كأوراق « البنسكنوت » ، فالصادقة
منها تُتداول بين الناس ولا تُنشر أقل شبهة ، والزائفة منها تُخدع
بعض الناس - مرة أو مرتين - ثم يفتضح أمرها ، وتُعرف
أنها زائفة ، فتمزق ثم تمزق . . .

كان « محمد » مثلاً للإخلاص والوقوف بجانب الحق والعدالة ،
في كل ما يفعله ، وكل ما يقول ، وكل ما يفكر فيه .

كان دائماً في تفكير ، محباً للصمت ، لا يتكلم إلا إذا كان
هناك ما يدعو إلى الكلام . . .

وإذا تكلم كان حكيماً في أقواله سديداً في آرائه ، مخلصاً للإخلاص
كله ، يُبقي النور على كل ما يُعرض عليه من الأمور . . .

كان كريم الخلق ، قوى الإرادة والعزيمة ، ولم يفكر في منفعة
الشخصية : كان يفكر في غيره من الفقراء .

ولم يكن مستبدّاً في أحكامه ؛ بل مثلاً للعدالة في الحكم ؛
يُنير الطريق لغيره ويُرشد الضالّ ، وينشر المحبة بين الناس .
ولم يكن محباً لنفسه ؛ بل كان محباً لغيره ، أميناً في أداء رسالته .

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نُعدّ محمداً رجلاً كاذباً ، متصنعاً ،
متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع . . . والرسالة التي أداها
ليست إلا الصدق والحق ، وما كتبه إلا صوت صادر من العالم
المجهول ، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع . . .)

ويقول « جونسون » في كتابه « الديانات الشرقية » :

(إن التجاوب الطبيعي بين نظرة محمد الواسعة إلى الذات الإلهية ،
وبين الجوّ الفسيح الذي كان يغدو وبروح فيه ، وهو التفسير الوحيد لما
استقبل به المشاهد الهائلة التي رآها في هدوه ورباطة جأش عجيبيين)

ثم يمضى قائلاً : (ليس بمستغرب أن تخرج أعظم قوة في ذلك العصر من فلول الجزيرة العربية التي كانت الأم حولها في مدّ وجزر ، فقد كانت الصحراء على الدوام هي المسكان الذي انبثت فيها صيحات الأنبياء الذين جاؤوا من عند الله .

لقد أضفى السيد المسيح على الجزيرة العربية معنى رمزياً ، حين آوى إلى البرية لمنساجاة ربه ، ولكن محمداً جعل هذا الرمز معنى حقيقياً ، فقد كانت الجزيرة العربية نفسها هي رجل الساعة ، وكان نبي الإسلام كتمها الجامعة ، إذ أفضت الصحراء بذات صدرها إلى ابنها الفذ الذي تحلى بتقاليد الربيعة ، ودفعه دافع باطنى قاهر إلى الخلوة في ليلة طلعت فيها النجوم ، وهو يُصغى إلى حديثها ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

لقد كانت حياته سجلاً حافلاً برسالة جليلة الشأن ، لا يُعادها في جلالها شيء ، أداها بكل نبل وإخلاص ، فنفتح الحياة في شعب غارق في سباته ، وجمع شتات القبائل المتنازعة ، فخلق منها أمة يتخذوها إلى العمل تطلمعها إلى نعيم الأبد .. وجاء بشريعة عامة اجتمع فيها ما تفرق من أنوار الهداية التي نزلت على قلوب الأنبياء .. هذه هي الرسالة التي أداها ، وقد أداها بهمة وغيرة لا تعرف الأناية ! ولقد آل الدين الذي دعا إلى التوحيد والمساواة على شواطئ الجليل إلى عبادة الإله المتجسد ..

أما نزيل « حراء » الذي ولد في أمة تأصلت فيها عبادة الأوثان ،
فقد استطاع أن يطبع في نفوس القوم الذين سمعوا صوته ، عقيدة
التوحيد والمساواة - بصورة لا تمحوها الأيام ، وبنه الأذهان بصيخته
الديمقراطية إلى إعلان الثورة على طغيان الكهنة والحكام ،
وحطم نظام الطبقات والامتيازات الخاصة ، في ذلك العالم الذي
عادت فيه المذاهب المتنافرة ، والنظم الجائرة ، واشتدت فيه وطأة
العقائد الباطلة على نفوس الفس ، وداس فيه أرباب المصالح
المكتسبة على رقاب الناس ، وفتح في الصناب - التي نسجت
يد المصالح الذاتية في طريق الإنسان إلى الله - نفخة واحدة ،
فصدها هباءً منثوراً ، وألقى كل امتياز وخصوصية في علاقة الإنسان
بربه ، وأشاد هذا النبي الأمي - الذي بعثه الله لعامة البشر -
بقيمة العلم والمعرفة . (

ويخلص مؤلف كتاب « الديانات الشرقية » إلى القول بأنه
مما لا شك فيه أن دعوته الدائمة لتحكيم العقل والوجدان ، ونظرته
الديمقراطية الخاصة إلى الحكومة الدينية ، وعموم رسالته ، واعتقاده
بأنه بشر : كل أولئك يدلُّ على الفرق الشاسع بين آرائه وآراء
من تقدموه ، والشبه الكبير بينهما وبين آراء العالم الحديث . . .
ثم إن تاريخ حياته ورسالته واضح ، لا يكتفه الغموض ،
وشخصيته حقيقية ، لم تنسج من حولها قصة خيالية .

أما « سير وليم موير » فيقول في كتابه « حياة مجد » :

(امتاز مجد بوضوح كلامه وبسبر دينه ، وأنه أتم من الأعمال ما يُدهش الألباب ، فلم يشهد التاريخ مُصلِحًا أبْقَط النفوس ، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة ، في زمن قصير ، كما فعل « مجد » ..)

ولا عجب ، فمحمد صنع أمة ملاً ذكرها التاريخ ، وأحيا قوماً كانوا حُفَاةً ، ليس لهم حظ من علم ..)

صنع أمة ، فملاً الأرض علماء ونوراً وعرفاناً .. وأدهشوا الأمم العريقة في الحضارة ، الراسخة القدم في العمران .)

ويقول الورد « هدى » :

(إن رسالة مجد إلهية صادقة لا رَيْبَ فِيهَا . هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ ، أوصى الله بها إليه ، فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة ، مكملة لكتاب المسيح ، كما كان مجدٌ يميل إلى الرحمة والعدل والكرم والشجاعة والصبر على المكروه والصدق والأمانة ، يعتقد أن الدين هو أقرب الأشياء إلى العقل وإلى الطبيعة ، وأن الإنسان ما هو إلا مظهر من مظاهر الله ، وكان غَيُورًا متحمسًا ..)

وكانت غيرته وحماسه لغرض نبيل ومعنى سام . ولقد كانت تعاليم « مجد » قليلة وبسيطة ، ولكنها أنتجت ثماراً عظيمة .)

أما « أرست رينان » ، فيقول في كتابه : « تعليقاتي على
تواريخ الأديان » :

(لقد دلتني تحرياتي العلمية والتاريخية ، على أنه لا صحة مطلقاً
لما أريدَ إصااقه بالنبي محمد : من كذب وافتراء ، مصدرها بعض
المبانيات العرفية ، والعادات القومية ، التي أراد بعض المتحاملين أن
يتوجهوا بها إلى الناحية التي تشفى سقام أذهنتهم الوقحة ، وتمصّبهم
الذميم ، كقولهم : إنه كان يميل إلى التسيد والسيطرة . . .

مع أن محمداً - وكما أثبتت الوثائق التاريخية ، وشهادات أكابر
علماء التاريخ - كان على العكس من ذلك ، بريفاً من رُوح
الكبرياء ، متواضعاً أميناً ، لا يحمل الحقد لأحد ، وكانت طباعه
نبيلة ، وقلبه طاهراً ورقيق الشعور) .

هذا التحري الذي قام به « أرست رينان » قليل من كثير
أورده في كتابه المستند إلى ما رآه من الحقائق العلمية ، والأمانة
في النقل من بطون التاريخ ، يقف مشهراً سيفه في وجه المزورين
والمزيفين للحقائق العلمية والتاريخية ، فيفضح أمرهم ، ويسفّه أحلامهم ،
ويكشف زيفهم ! . . .

وننتقل إلى رجل آخر من أهل الكتاب ، ليصف لنا محمداً
صلى الله عليه وسلم . وإلى القارئ ما قاله المؤرخ « لين بول » :
(إن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة ، كاللطف
والشجاعة والكرم ، ومكارم الأخلاق ، حتى إن الإنسان لا يستطيع
أن يحكم عليه ، دون أن يتأثر بما تركه هذه الصفات في نفسه من
أثر ، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً عن غير مثيل أو هوى .

كيف لا ، وقد احتمل محمداً أهله وعشيرته أعواماً ، فلم يهن
له عزم ولا ضعفت له قوة . . . وبلغ من نبه أنه لم يكن في حياته
البادئ بسحب يده من مصافحه ، حتى ولو كان المصافح طفلاً . .
وأنه لم يمر بجماعة دون أن يُقرئهم السلام وعلى شفثيه ابتسامه
حلوة ، وفي نغمة جميلة كانت تسكني - وحدها - لتسحر سامعها ،
وتجذب القلوب إلى صاحبها جذباً) .

هذا إلى جانب ما تحدث عنه المستشرقون ، عن رحمة محمداً
صلى الله عليه وسلم بالأعداء ، وأن رحمته لم تقف عند الذين آمنوا
به واتبعوه ، ولكنها تعدت ذلك إلى الذين حاربهم دفاعاً
عن الدعوة ، وصدق الله العظيم :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

فها هو المستشرق « أميل دير منجم » في كتابه « حياة محمد » يقول : (إن محمداً قد أبدى في أغلب حياته اعتدالاً لافتاً للنظر ؛ فقد برهن في انتصاره النهائي على عظمة نفسية ، قل أن يوجد مثلاً في التاريخ ، إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء والمُسَيِّئين والأطفال والنساء ، وحذّرم أن يهدموا البيوت ، أو يسلبوا الثّجّار . . . أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة . . . وأمرهم ألا يجردوا السيوف إلا في حالة الضرورة القاهرة ، بل لقد رأيناهُ يُؤدّب بعض قوّاده ، ويصلح أخطاءهم إصلاحاً مادّيّاً ، ويقول لهم :

« إِنَّ نَفْساً وَاحِدَةً ، خَيْرٌ مِنْ أَكْثَرِ الْفَتْوحِ ثَرَاهُ » (١) .

ويستمر الباحث « أميل دير منجم » ، فيوضح دستور الحرب عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

(إن الغنائم الحربية كانت في هذا العهد (ما قبل الإسلام) النتيجة العامة لكل جهاد ؛ بل يمكن أن يُقال : إنها كانت مع التجارة وتربية الحيوان ، هي الصناعة الوطنية العربية . . .

(١) هذا قول « أميل منجم » في وصف الرسول صلى الله عليه وهو وصف إن دلّ إنما يدلّ على رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا ليس بحديث نبوي حريف .

فأعلن محمد إباحثها لأتباعه استجابة لضغفهم ، ولكنه حدها
بقواعد دقيقة ، فخصص الجزء الأكبر منها للصدقات والحاجات الجيش ..
وأنه حذر في قسم الأسرى إبعاد الأطفال عن أمهاتهم ..
إنه لم يكن يستطيع أن يغير شعبه تغييراً تاماً ، ولكنه نجح
في أن يُقوِّمه في نقاطٍ كثيرة ..

إنه شخصياً لم يكن إلا رجلاً أمياً خلوأ من الثقافة تقريباً ،
كجميع بني جلدته في عصره ، ولكنه كان يعلم أن الإله رحيم رحمة
لا حد لها ، فأجهد نفسه في أن يعلو على الطبيعة البشرية ،
وأن يقهر في نفسه الميول الانتقامية ..

وهو في هذا يقول : كاد الحليم أن يكون نديماً .

إن قوة عبقرية محمد الإنشائية واتساعها ، وذكاءه العظيم ،
ونظرة الصائب إلى الحقائق ، وسيادته لنفسه ، وقوة إرادته وحكمته ،
واستعداده للعمل ، وحياته الواقعية : كل ذلك يجعل الزيف في مبدأ
رسالته يستحيل القول به ، فكيف يتصور أن ينقلب كاذباً فجأة ،
ذلك الذي يظهر نجاحه كبرهان ساطع على تأييد الإله لدعوته ؟ !

وكيف يمكن أن يجرؤ على تشويه رسالته ، في الوقت الذي
كان يرى فيه أنها مقدسة مؤيدة من الإله ؟ !

هكذا نهض محمد صلى الله عليه وسلم لدعوة بني جنسه إلى دين
واحد ، هو دين الإله الواحد .. وليوقظ جزءاً من آسيا وإفريقيا ..

وليحذر من عبودية الجمادات كل الذين يفهمون رسالته الحقيقية ..
ولسكى يحمر بلاد فارس التي كانت تعيش في نِعاس كامل ..
ولينعش المسيحية الشرقية التي شوّهتها المجدالات البيزنطية الخالية
من الحماسة ، ومن الاعتقاد المجرد من الوحدة) .

وهذا عالم أوربي آخر يقف ، ليدال على صدق محمد ، وصدق دعوته
صلى الله عليه وسلم ، فيقول السكاتب الإنجليزي « ه . ج . ويلز » :
(إن من أقوى الأدلة على صدق (محمد) : كَوْنُ أهله وأقرب
الناس إليه يؤمنون به ، فقد كانوا مُظلمين على أسراره ..
ولو شكُّوا في صدقه ، لما آمنوا به) .

ويقول الفيلسوف الروسي « تولستوى » :

(وخلاصة الديانة التي نادى بها محمد ، هي :

أن الله واحد ، لا إله إلا هو) .

وهذا الروسي « تولستوى » يستمر في حديثه عن الإسلام ،
ليوضح جوهر الدعوة الإسلامية ، وموقفها من تربية الإنسان
الإيمانية ، فيقول : (ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة ، وإن الله
رحيم عادل ، وإن مصير الإنسان النهائي متوقف على الإنسان نفسه ،
فإذا سار حسب فريضة الله ، واثمر بأمره واجتنب نواهيه ، فإنه يظفر
بالقوة في الحياة الدنيا ، ويؤتى أجراً حسناً في الحياة الأخرى ..
وإن كل شيء في هذه الدنيا زائل ، ولا يبقى إلا الله ذو الجلال ..

وإنه بدون الإيمان بالله وإتمام وصاياه ، لا يمكن أن تكون حياة حقيقية . . . وإن الله تعالى يأمر الناس بحبته ومحبة بعضهم ، ومحبة الله تكون في الصلاة ، ومحبة الناس بمشاركتهم في السراء والضراء ، ومساعدتهم ، والصفح عن زلاتهم .

إن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يقتضى عليهم أن يبذلوا وسعهم لإبعاد كل ما من شأنه إثارة الشهوات النفسية ، والابتعاد أيضاً عن اللذات الأرضية . . . وإنه يتحتم عليهم أن لا يخدموا الجسد ويعبدوه ، بل يجب عليهم أن يخدموا الروح والجسد معاً .

و«محمد» لم يقل عن نفسه إنه نبي الله الوحيد ، بل اعتقد أيضاً بنبوة موسى والسيح ، وقال : إن اليهود والنصارى لا يُكْرَهُونَ على ترك دينهم ! . وفي سببي دعوته ، احتمل كثيراً اضطهاد أهله وأصحاب الديانات القديمة ، شأن كل نبي مثله نادى أمته إلى الحق . . . ولكن هذه الاضطهادات لم تثن عزمه ، بل ثابر على دعوته في قوة وثقة وإيمان لا مثيل له في التاريخ . . .

ومما لا ريب فيه أن النبي محمداً من أعظم الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمات جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى مئات الملايين إلى نور الحق ، وإلى السكينة والسلام ، وفتح للإنسانية طريقاً للحياة الروحية العالمية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة وإلهاماً وعوناً من السماء !

وإذا كان « تولستوى » نحدث عن جوهر الدعوة الإسلامية ؛
فإن العالم المفكر « فيلبس جيبس » يبين مدى حاجة الإنسانية
وما فعله الإسلام من أجل البشرية ، وأثر تعاليم الإنسان في تقدم
الفرد وبناء المجتمع الإنساني ، فيقول :

(لقد فعل الإسلام للنهوض بالإنسانية والمدنية ، ما لم تفعله أي
ديانة أخرى منذ بداية الخليقة . . . ولا يزال الإسلام قوة كبيرة . .
ولولا التعاليم الإسلامية المثالية العظيمة ،

لعدت البشرية بلا ريب إلى العصور الوحشية المظلمة) .

وإذا كان يحلو لبعض أعداء الإسلام أن يقولوا وينشدقوا بأن
مهدياً صلى الله عليه وسلم نشر دينه بالسيف والقوة ، وأن الحرب
كانت قانون الإسلام ودستوره ، وأنه فُرض على من اعتنقوه
فرضاً بالقوة ، فإننا نقول لهم :

إن الإسلام وضع المبدأ القرآني الكريم ،

في آيتين من آيات الكتاب العزيز :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (١)

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (٢)

وقد سخر الله من بين أهل الكتاب ، من برد على القائلين
إن الإسلام انتشر بالسيف ..

إذ يقول « كارليل » في كتابه عن « الأبطال » :

(لقد قيل كثيراً في نشر محمد صلى الله عليه وسلم دينه بالسيف .
فإذا جعل الناس ذلك دليلاً على كذبه ، فشدّ ما أخطأوا وجاروا !
فهم يقولون : ما كان الدين لينتشر ، لولا السيوف . ولكن ما هو
الذي أوجد السيوف ؟ هو قوّة هذا الدين ، وإنه حق . . .

فالرأى الجديد أول ما ينشأ ، يكون في رأس رجل واحد ،
فالذي يعتقد فرد واحد دون العالم أجمع . . فإذا تناول الفرد سيفاً ،
وقامت الدنيا في وجهه ، فإنه لا يصنع شيئاً . . وأرى على العموم
أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال : أو لم تروا
أن المسيحية كانت لا تأنف أن تستخدم السيوف أحياناً . . .

وحسبكم ما فعل « شارلمان » بقبائل « السكسون » . .

وأنا لا أحفل : أكان انتشار الحق بالسيوف ، أم باللسان ؟

فلندع الحقائق تنشر سلطاتها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار . . .
لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرهما ، فإنها لن تهزم
إلا ما كان يستحق أن يُهزم ، وليس في طاقتها قط أن تنفي
ما هو خير منها ، بل هو أحمق وأدنى . . .)

إلى أن قال : (وإن دبتنا آمن به أولئك العرب الوثنيون ، وأمسكوه
بقلوبهم النارية ، لجدير - حقاً - أن يكون ، وجدير أن يصدق به .
وإن ما أودع هذا الدين من القواعد ، فهو الشيء الوحيد الذي
للإنسان أن يؤمن به ، وهذا الشيء هو : روح الأديان . . .)

وفي موضع آخر يقول « كارليل » في نفس الكتاب :
(وجاء محمد صلى الله عليه وسلم ، وترك طوائف النصراني
تقيم أسواق الجدال ، وتمخبط بالحجج الجائرة . .
وماذا أفاد ذلك ، وماذا أثمر ؟ لا شيء !
أما كان الأمم بدلا من ترتيب القضايا المنطقية ،
أن يكون خلقُ الله جميعاً يتمقدون تلك الحقائق . . ؟)
إلى أن قال :

(لقد جاء الإسلام على تلك الملل والنحل الكاذبة ، فابتلعها !
وحق له أن يبتلعها ، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة !
وما كاد يظهر الإسلام ، حتى احترقت وثنيات العرب ،
وجديلات النصرانية ، وكل ما لم يكن بحق ،
فإنه حطب ميت أكلته النار التي أوقدها الإسلام ،
فذهب الحطب ، وتحولت النار إلى نورٍ باقٍ خالد)
ويقول « كارليل » في موضع آخر (١) :

(يزعم الأفاكون الجهلة أن محمداً مُشعوذٌ دجال ومحتال !
كلا ، ثم كلا . ما كان قطُّ ذلك القلبُ - المحتدمُ الجياشُ
كأنه تُثورُ فكرٌ بنورٍ ويتأججُ - ليكون قلبَ محتالٍ مشعوذٍ . .
لقد كانت حياته في نظري حقاً . . وهذا الكون حقيقة راثمة كبيرة !

(١) في المصدر نفسه .

إن مُثُل الإسلام مُتَوِينَا فِي عَمَدِ أَخَا لِلإِنْسَانِيَةِ : أَخَانَا جَمِيعًا
 الرَّهْوفِ الرَّحِيمِ الشَّفِيقِ ، وَابْنِ أُمْنَا الْأَوَّلَى وَأَبِينَا الْأَوَّلِ .
 وَيُظْهِرُ « كَارِلِيل » إِعْجَابَهُ بِالرَّسُولِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُ (١) :
 « وَإِنِّي لِأَحَبِّ مُحَمَّدًا ، لِبرَاءَةِ طَبِيعِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ ، وَاقْدَانِ
 ابْنِ الْفِقَارِ هَذَا رَجُلًا مُسْتَقِلَ الرَّأْيِ ، لَا يَقُولُ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يَدْعِي
 مَا لَيْسَ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ مُتَكَبِّرًا ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِيلًا ، فَهُوَ
 قَائِمٌ فِي ثَوْبِهِ الْمُرَقَّعِ ، كَمَا أَوْجَدَهُ وَكَمَا أَرَادَهُ ، يَخَاطِبُ بِقَوْلِهِ الْحَرِّ
 الْمَبِينِ قِيَاصِرَةَ الرُّومِ وَأَكْاسِرَةَ الْعَجَمِ ، يُرْشِدُهُمْ إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ
 لَهُدَى الْحَيَاةِ ، وَلِلْحَيَاةِ الْآخِرَةِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ قَدْرَهَا وَلَمْ تَخُلْ
 الْحُرُوبُ الشَّدِيدَةَ الَّتِي وَقَعَتْ مَعَ الْأَعْرَابِ مِنْ شَاهِدِ قِسْوَةٍ ،
 وَلَكِنَّهَا كَذَلِكَ لَمْ تَخُلْ مِنْ دَلَائِلِ الرَّحْمَةِ وَالْكَرَمِ وَالْغَفْرَانِ ،
 وَكَانَ مُحَمَّدٌ لَا يَبْتَذِرُ عَنِ الْأَوَّلَى ، وَلَا يَفْتَخِرُ بِالثَّانِيَةِ »
 وَيَمْضِي فَيَقُولُ (٢) : « وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ بِعَابَثٍ قَطُّ ، وَلَا شَابَّ شَيْئًا
 مِنْ قَوْلِهِ شَائِبَةٌ لَعِبٍ وَهَوٍّ ، بَلْ كَانَ الْأَمْرُ عِنْدَهُ أَمْرَ خَسْرَانٍ أَوْ فَلَاحٍ ،
 وَمَسْأَلَةٌ فَنَاءٍ أَوْ بَقَاءٍ ، وَلَمْ يَكُنْ إِزَاءَهَا إِلَّا الْإِخْلَاصَ الشَّدِيدَ وَالْجِدَّ
 فَأَمَّا التَّلَاعِبُ بِالْأَلْفَاظِ وَالْقَضَايَا الْمَوْضِعِيَّةِ ،
 وَالْعَبَثُ بِالْحَقَائِقِ فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ قَطُّ »

(١ و ٢) نفس المصدر .

ويختم « كارليل » قوله :

(وفي الإسلام خلة أراها أقرف الخلال وأجلها ، وهي التسوية بين الناس ، وهذا يدل على أصدق النظريات وأصوب الرأى ، فنفس المؤمن راجحة بجميع دلائل الأرض والناس جميعاً ، والناس في الإسلام سواء ... »

ولنتساءل بعد الذى أوردناه : كيف انتشر الإسلام ؟

والجواب : إن الإسلام انتشر ، حين رأى الناس الحرية التى يبحثون عنها ، فوجدوها فى الإسلام ، بعد أن طال بحثهم عنها قرونًا طويلة ، تخبط فيها الإنسان بين الأديان التى جعلت منه كائنًا مُسَيَّرًا ، غير مخير :

مرة يخضع لإله الخير ، ومرة يخضع لإله الشر .. ومرة يقع بين يدي إله النعمة فيحاسب على ذنب غيره .. ومرة هو رهن برضاء النجوم والكواكب ، ووفقًا لما تشير به السكينة ..

وهذا فى الأديان القديمة ..

أما فى الأديان السماوية التى انحرف بها أتباعها وكهنتها : هل الإنسان من ذرية يعقوب فتشمله النعمة ، أم هو من أتباع عيسو فتحل عليه اللعنة ؟ ذلك لأن الرب يهوه إله يفتقد ذنوب

الآباء فى الأبناء حتى الجيل الثالث .

ما جعل الإنسان - بين دم أزرق ودم أبيض - يعيش في حيرة متسائلا : من أي فصيلة دمه ؟ مما أدخل عليه اليأس ردحا من الزمن عاش فيه سلب الإرادة ، أسيرًا لآراء الكهان والترفانا ، وإله النور ، وإله الظلام ، والنجم السعيد ، والنجم المنحوس ، تحت رحمة نفسيس : ربة الشار ، ينتظر على أحرّ من الجمر تقرير مصيره ، على يد محكمة إيزيس وأوزوريس ... (١)

وظل الإنسان غريبًا عن نفسه وكيانه يتخبط ، حتى وصل إلى عبادة الفرد الحيّ والعصم المنحوت ، والإله المسبوك ، والرب المأكول .. عقله أسير مكبل بقيود في ظلام دامس ..

حتى أشرق نور الإسلام ، وتحرر العقل والوجدان ، وتفتحت بصيرة الإنسان على دين تعاليمه واضحة جليّة ، وعقيدته السمحة تهب لهذا الإنسان الحرية ، وتعيد إليه اعتباره وكرامته .

وبمثل الإسلام العليا ، خرج الإنسان من ذل الاستعباد الديني ، إلى العزة والمجد ، واستعاد ذاته وكيانه ، واستردّ عقله بعد أن أراح عنه الحُجُب .

هذا هو محمد ، وهذه هي رسالة محمد .

اللهم صلّ على محمد النبي الأمي الذي أخرج الناس

من الظلمات إلى النور ، بإذن ربهم ،

وهداهم إلى صراط مستقيم ، وسلم تسليمًا .

(١) انظر إلى كتاب : « الأدباني في كفة الميزان » للمؤلف .

الفلاسفة والمؤرخون مع القرآن الكريم

كما بلغ الحقد والتعصب بأصحاب النفوس المريضة ، أن يُشككوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما خيّل إليهم أنهم قادرون على هدم نبوة الرسول - عليه من الله أفضل الصلاة والسلام - تناولوا مخدوعين ليقولوا للناس : إن القرآن ليس من عند الله ، يهدفون بقولهم الكاذب صرفاً الناس عن القرآن الكريم ؛ وبذلك يكتونون قد قضوا على فكرة النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم . ذلك لأن القرآن الكريم بإعجازه لأكبر دليل ؛ بل وأعظم الأدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ولكن الله خيب آمالهم ، وردّ كيدهم في محورم ، فكذبوا . . . وصدق الله العظيم :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَكِنِّي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * ﴾ (١)

(١) سورة الشعراء من ١٩٢ - ١٩٩ .

ولكى يُقيم الله الدليل على الحاقدين ، فيرتدوا على أديبارهم
خاسرين ، يُسخر السنة وأقلاماً من غير المسلمين ، لتسكون شهادتهم
سباتاً في حُلوق أعداء الله ، وأعداء محمد صلى الله عليه وسلم ،
وأعداء الإسلام . . . وهام فلاسفة الغرب ومؤرخوم يشهدون . . .

ولتبدأ بقول قسّ فرنسي شهير هو « لوزان » ، وقد خطب
خطبته الجامعة في دار الأوبرا في مصر في ٢١ فبراير سنة ١٨٩٦ م .

وهاك طرفاً منها :

(ولا يخفى أن المسيحيين - بوجه عام - لا يعرفون الإسلام .

بل وكثير من المسلمين قليلو المعرفة بدينهم . . .

أو هم يعرفونه على غير وجه الحق . . .

وحينئذ فلا بد للوصول إلى حقيقة هذا ، من الرجوع إلى أصله . . .

إن الذين قالوا : إن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، هو واضع

الإسلام ، إنما يفترون) . واستشهد بقول الله - عز وجل - :

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ

لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

(١) سورة يونس : ٣٧

إلى أن قال :

(واقدا كان إبراهيم وإسماعيل بحكم القرآن مسلمين ورسولين ،
وهما أصل العرب . وعهد - صلى الله عليه وسلم - سليل إبراهيم
وإسماعيل ، وُيُثِّبُ للعرب رسولا ، أى من جنس العرب ،
ولم يكن نبي العرب فحسب ، بل هو نبي قال بوحدانية الله .

فإن دين موسى ، وإن كان من الأديان التي أساسها التوحيد ،
إلا أنه كان ديناً قومياً محضاً وخاصاً ببني إسرائيل ، ولم يكن
التعبد عليه ممكناً إلا في بيت المقدس .

أما عهد صلى الله عليه وسلم فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين ،
وهما : الوحدانية ، والبعث .. وقد أعلنه لجميع البشر في أنحاء
العالم .. وإنه لعمل عظيم يتعلق بالإنسانية جملة وتفصيلا عند
من يدرك غايته ، فالديانة الإسلامية المحمدية إذن - مع كونها
من بعض الوجوه خاصة بالعرب في عصر ظهورها ، كما يزعمون -
فإنها للنوع الإنساني : الديانة العامة الخالدة) .

وقد خطب هذا القسُّ خطبة أخرى جامعة في عاصمة تونس
في نفس العام ، نفتبس منها :

(لقد جلّ نور الحكمة : حكمة القرآن الذي أنزله الله
على صدر نبيه المبعوث - لا محالة - لإرشاد الناس ،
والله يعلم . حيث يجعل رسالته .)

ثم يقول : (محمد صلى الله عليه وسلم ، بلا التباس ولا إنكار ،
هو من النبيين والصدّيقين ، أمكنه - بإرادة الله - تكوين المملكة
الإسلامية ، وإخراجها من العدم إلى الوجود ، بما جعل أهلها
يدوسون سلطة الرومان ، ويقطعون دابر أهل الضلال ! . . .

وأريد أن أزيدكم إيضاحاً بأن أقول : إن مبنى النصرانية شيثان ،
هما : بنوة عيسى ، ووجود الخالق سبحانه وتعالى ..

ففي الأولى يقول المسلمون كلاماً معقولاً ، هو أن المسيح ليس
ابناً لله ، وإنما هو روح من الله ، لأن الله :

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

أما الشيء الثاني الذي هو وجود الخالق وتنزيهه عن النَّدْب والنظير ،
مع وصفه بالقدرة والعلم والعلو والوحدانية ، فالإسلام والنصرانية
فيه سواء .. سوى أن المسلمين لما عرفوا جلال الله وقدره ، وعرفوا
أنه القادر على كل شيء ، بسطوا أكتاف الضراعة ، وأقروا بمعجزم ،
وطلبوا الرحمة منه والغفران والعافية في الدنيا والآخرة .

والنصارى جهلوا خالقهم ، وزاغوا عن الطريق المستقيم .. ولذلك
نجد المسلمين في رفعة عن النصارى من هذه الحيثية ، فلا ترى واحداً
فيهم يشكر بالله . وما اهتدى مئات الملايين إلى الإسلام إلا بفضل محمد
الذي علمهم الركوع والسجود لله ، وأبقى لهم دستوراً لن يضلوا بعده
أبداً : ألا وهو القرآن الكريم ، الجامع الصالح ، لدينام واهرام .

هذه الحقائق التي نطقت وحدها ، وجعلت أحد القساوسة العظام العالميين ينطق بها ويبشر بها ، هي التي أرغمت « كاي نيلر » أكبر المشجعين للتبشير المسيحي في قارتي أفريقيا وآسيا ، والمشرف على إرساليات تبشيرية عديدة خلال القرن الثامن عشر على أن يلقي خطبة .. أصبحك أخي القارئ ، لنستمع إلى الخطبة التي ألقاها الحاقدا على الإسلام في السابع عشر من أكتوبر سنة ١٨٨٧ م في جمع حاشد من المبشرين بالمسيحية في اجتماعهم السنوي « بدمشق » (١) يقول :

(إن الإسلام قد سبق النصرانية بمراحل شاسعة في أكثر جهات العالم ، وليس فقط من جهة المسلمين الذين كانوا وثنيين وأسلموا أكثر من الذين تنصروا ، كلا بل لأن النصرانية في بعض الجهات أخذت في التقهقر إلى الوراء أمام الدين الإسلامي ، بفضل الدستور الذي جاء به « محمد » ، حيث إنه مقنع مشيع ، في حين أن الوسائل التي نستغلها للتصير في الأمم الإسلامية تفشل ويفشل أمرها ، والشباك التي ننصبها تتقطع جبالها ، وإننا لا نرجع فقط بصفقة المغبون ، بل ربما خسرنا رأس المال ، ويصدق علينا قول من قال : جنت على نفسها براقش) .

(١) نشرت هذه الخطبة بمجلة « النور » التي تصدر ناطقة باسم الكنيسة السورية بالعدد رقم ٥٢ الصادر في ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٨٧ م

ولعل قول هذا الحاقدا لا ينسينا أن كثيراً من علماء المسيحية
المقلّاء الذين بلغوا شأواً من النزاهة العلمية والأمانة التاريخية
والحياد العقلي ، يتأففون من الذين يملأ الحقد قلوبهم ، ويمعيبهم التمعيب
عن جلال القرآن ، فيحاولون النيل منه ، والنيل من النبي صلى الله
عليه وسلم ، الذي نزل عليه القرآن الكريم .

ولهذا نرى الدكتور « موريس الفرنسي » ، وهو أحد كبار
المستشرقين ، وضلع في اللغة العربية ، وواقف على آدابها وأسرارها ،
وقد كلفته الحكومة الفرنسية بترجمة معاني القرآن إلى
اللغة الفرنسية سنة ١٩١٠ م .

وها هو يردّ على صحفي متعصب يسمى « ريناش » نشر مقالا
يتهم فيه على القرآن الكريم في جريدة « لابارو فرنسيس رومان »
في مايو ١٩١٣ م .

يقول الدكتور « موريس » :

« لقد قلت واضطربت حواسي ، لتهمج « المسيو ريناش »
على القرآن الكريم ... إذ لو جاز لامرئ غير مسلم أن يرتاب
في صدق القرآن وصحة دعواه ، فلا يجوز له أبداً أن يرتاب
في صحة عبادته ، وكونه في الذروة والسنام من الفصاحة والبلاغة .
ومن لم يسلم بهذا ، كان مخطئاً ، بل كان متهماً في إخلاصه ،
وإن شئت قلت : في عقله . . . »

إن كان للقرآن صفة لا يشوبها نقص ، فهي الفصاحة والبلاغة ،
وإن كان له مزية عظمى يفخر بها ثلاثمائة مليون من البشر (١)
فهي استعلاؤه على سائر الكتب السماوية ، من حيث بلاغة مبانيه
وكمال معانيه ، بل لنا أن نقول :

إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية للبشرية .
ومن أجل ذلك نرى رجال الطريقة الراقية في الأمة الإسلامية
يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب واقتباساً لآياته ، يزينون به كلامهم ،
ويبنون عليه آراءهم ، كلما ازدادوا رفعة في القدر ونباهة في الفكر .

لقد وطأن هؤلاء القوم نفوسهم على حب نبيهم - صلى الله
عليه وسلم - الذي نزل عليه القرآن الكريم ، إذ ما كان لأمة
أن يصل إلى صنع كتاب كالقرآن ، فيه غنى عن كل كتاب .
لهذا ما خطر للمسلمين أن يفكروا قط فيما أوتيت الأمم
الأخرى من كتب أو شرائع ، فقد رأوا في كتابهم غنى عن
كل شيء ، من كتاب أو شريعة .

وبذلك على ذلك أنك ترى كبار الكتاب والقراء الإسلاميين
يُطأطئون رءوسهم أمام بلاغة كتابهم ، ويكادون يسجدون لمجانبه
التي تتجدد ، وأسراره التي لا تنفذ ، ويمدونه فخرهم الباقي - إلى أن
تنتهي الأزمان - ومجرم الزاخر بفضيح الكلام ورفع المعاني . . .

(١) لعل هذا الرقم هو تصوره - آنذاك - لتعداد المسلمين في العالم .

وكنت أتمنى « للمسيو ريناش » أن يشتمل فلا يحكم على القرآن
حكمه القاسى ، ريثما تتم ترجمتى (١) له ، فيعرف مبلغ عظمتة (٢) .
ولم تقف الإشادة بالقرآن الكريم عند الفرنسيين فحسب ،
بل نجد فى علماء الغرب - فى كل مكان منه - من يقف مشدوها
أمام عظمة القرآن ، ولا يسعهم جميعا إلا الاعتراف بأنه تنزيل
من رب العالمين .

فها هو « جوته » كبير أدباء الألمان وشاعرم العظيم يكف
فى فرانكفورت عام ١٧٧٧ ميلادية على تلاوة فى ترجمة ألمانية للقرآن
الكريم أنجزها - يومئذ - ابن بلدته المستشرق العلامة « مرجرلين » ،
حتى إذا فرغ منها ، عكف من بعدها على تلاوة القرآن فى ترجمة
لاينية سابقة للترجمة السابقة ، طبعت فى مدينة « بادوا » بإيطاليا . .
وما إن أتم « جوته » تلاوة معانى القرآن فى الترحمتين ،
حتى اختار بعض الآيات القرآنية - نقلا عن الترجمة الألمانية -
واتخذها أناشيد حية لربه ، وترانيم عبادته ، وأنغام روحه ،
ومجال تدبره وتفكره . . .

(١) هذا ما استطعنا أن نقتطفه مع التلخيص والتصرف من رد الدكتور
« موريس » على « ريناش » . وذلك من ترجمة الرد على خمس صفحات
من الجريدة الفرنسية الصادرة فى التاسع من مايو سنة ١٩١٣ م .
(٢) لا يستطيع « موريس » أو غيره ترجمة القرآن
إنما من الجائز ترجمة معانيه .

وكان اسمه الآن ،

وهو يقول في « الديوان الشرقى للمؤلف الغربى » :

(إن القرآن يردد قواعد هذه التعاليم - التى استنبطها من الآيات التى اختارها - ويكرر البشير والنذير فى سورة بعد سورة ، لأن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، لم يُرسل برسالة شاعر للتفنن فى القول ، والتنوع فى ضروب الكلام ، وعرض الصورة المزوقة من الأخيلة والأوهام ، لاستحداث اللذة وإدخال الطرب ، بل هو - بنص القرآن - بعيد عن هذا الوصف .

وإنما محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، نبيّ مرسل لفرض محدد ، يتقدّر مرسوم ، يتوخى إليه أبسط وسيلة وأقوم طريق ، وهذا الفرض هو إعلان الشريعة ، جمع الأمم حولها ، لينضوا تحت لوائها . . . فالكتاب المنزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، إنما بُعث به إلى الناس كافة ، ليقتضيهم الخشوع والإيمان ، لا لمجرد المتعة والاستحسان ، بل يقتصر منه على مكان الحكمة ومضرب الأمثال ومواضع الاعتبار) .

فإذا أضفنا إلا ما سبق ، ما نقرؤه الآن وننقله من كتاب « الأبطال » للعلامة المستشرق « كارليل » ، نكون قد أفرقنا القارئ معنى فى الوقوف على ما كتبه علماء الغرب والشرق الذين يردون على سخافات القوم ، إذ يقول هذا المستشرق :

(إذا أُثبت مرة بهذا القرآن الحسن ، ترى كِنَايَاتِه الجوهريّة
تأخذ في الظهور ، وتكشف عن مُعَيَّنَاتِهَا بِبَيَانِهَا بِنَفْسِهَا . . . وفي هذا
من الفضل العظيم ما لا يوجد في كتاب علمي . . . ولقد يكون
لبعض الكتب المؤلفة شيء من التأثير على الأذهان ، إلا أن
التصانيف والمؤلفات ليست بشيء يُذكر بجانب ذلك الكتاب .

وإن الإنسان ليقول : إن مزايا القرآن الأوليّة ، وأركانها
الأساسية إنما هي من صحته وحقيقته ، وسلامته مبانيه ، ومن
الفضل الذي هو أول وآخر الفضل ، وجود كتاب تأتي فيه جميع
الفضائل على اختلافها ، بل هو الكتاب الذي يُقال عنه في الختام :
« وبه فليتنافس المتنافسون » .. لكثرة ما فيه من الفضائل المتعددة .

وفي موضع آخر في معرض حديثه عن القرآن الكريم ، يقول :

(ولو رجعنا إلى ما أوضحه العلماء والحكّماء عن النبوة ،
ولم يقبله المتكلمون ، لأنكنا الوقوف على حالة مشيّد دعائم
الإسلام ، وجزمنا بأنه لم يكن مبتدعاً أو من من المبتدعين) .

ونسأل : كيف أثبت « كارليل » أن محمداً ،

صلى الله عليه وسلم ، لم يكن من المبتدعين ؟

نجد الإجابة واضحة في كتابه : « محمد » ، إذ يقول في الصحيفة

رقم ٢١٩ بالحرف الواحد :

(وكما قال « إيوالد » - مؤرخ يهودى - عن أنبياء
بنى إسرائيل ، فإننى أعتقد أن روحاً من الله استولت عليه
(على محمد ، صلى الله عليه وسلم) وعلى لُبِّه ، فلم يعد
يشعر بأن له فكراً خاصاً ، بل إنه أوتيه من عند ربه ،
واخفت في نظره أنانيته ، ولم يعد يسمع غير صوت فوق ذاته ،
ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل : هل كان
ذلك في الحلم ؟ أم كان في غيبوبة في عالم التصورات الإلهية ؟

إن موضوع هذه الحقيقة لا يغير المسألة ، لأن الصدق واضح ...
إلى أن قال : (ولقد نعلم أن الصوت الذى كان يسمعه نبي المسلمين
شبيه بالذى سمعه الأنبياء من قبله . هذا الصوت الذى قال له :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ *

وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * ﴾ (١) .

إلى أن قال : (ومن ذلك المعين ، أخذت شفتا « محمد » تنطلقان
بالفاظ يعرضها أشد قوة ، وأبعد مرمى من بعض ، والأفكار تندفق
من فمه على الدوام ، إلى أن يقف لسانه بطبقة الصوت ، ولا يجد
من الألفاظ ما يعبر عن فكر قد ارتفع عن مدارك الإنسان ،
وسما عن أن يترجمه إنسان ، بقلم أو لسان .

وكانت تلك الافعال تظهر على وجهه بادية ، فظن بعضهم أن به جنة ، وهو رأى باطل لأنه - صلوات الله وسلامه عليه - بدأ رسالته بعد الأربعين ، ولم يُشاهد عليه قبل ذلك أى احتلال فى الجسم ، أو أى اضطراب فى القوة البدنية أو العقلية ...)

إلى أن قال : (وايست حالة « محمد » فى افعلاته وتأثيراته بهالة ذى جنة ، بل كانت مثل التى قال بنو إسرائيل فى وصفها : « لقد شعرت بأن قلبى انكسر بين أضلعى ، وارتعشت منى العظام ، وصرت كالثشوان عند سماع الله وأقواله المقدسة » .)

والآن تنتقل إلى عالم أوربى آخر هو القانونى الشهير « جيون » حيث يقول ، فى كتابه « الرسائل الإنسانية والقانون » :

(القرآن مُسلّم به من حدود الأوقيانوس الأتلاتنتيكي إلى نهر الجانجى بأنه الدستور الأساسى ، ليس لأصول الدين فحسب ، بل للأحكام الجنائية والمدنية ، وللشرائع التى عليها مدار نظام حياة الإنسان وترتيب شئونه ..)

وبعبارة أخرى هو القانون للعالم الإسلامى ...

وإن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعاً ، فهى شريعة جمعت ما بين الدين والدنيا ، بما لا يوجد مثله فى العالم ... وعلى ذلك فالقرآن يختلف مادياً ومعنوياً عن الكتب المسيحية المقدسة التى ليس فيها شئ من الأصول الدينية ، بل هى فى الغالب مركبة من قصص وخرافات ، وتخبّط واضح فى الأمور التعبدية .)

وما هو « السير وليم موير » - برغم شهرته بالتمسب
ضد الإسلام - يقول في كتاب « حياة محمد » :

(القرآن كتاب فياض بالحجج ، كثير البراهين المنزلة من جانب
القدرة الإلهية ، لإقامة الدليل على وجود الله ، وعلى أنه له الحكم
الأعلى والسلطان الأكبر ، القادر على إنفاذ أحكامه الجليلة على
الإنسان ، وبيان وجوب المكافأة على العمل الصالح ، والقصاص
على الخبث في العالم الآتي ، ووجوب اتباع الفضيلة واجتناب
الرذيلة ، وأن طاعة الخلق للخالق ، وعبادته والسجود له هي سعادتهم) .
وهكذا أمثال هذه النبد الواضحة بمبارات الرقة والانسجام ،
والفياضة بالبلاغة الحقيقية التي أشار إليها « واشنطن إيرفنج »
بقوله في عبارتين موجزتين ، ولكنهما أبلغ من كل ما قيل :

(القرآن فيه قوانين زكية ، سنية ، بهية) . .

(يحوى القرآن أسمى المبادئ) .

إذن فعلى القائلين - بأن القرآن مُسْتَقَى من الإنجيل : الكتاب
الأمّ ، وأن محمداً تعلم على يد خَبر يهودى - أن يرجموا إلى
الكتب التي أمرنا إليها وأخذنا منها مقتطفات حسبما اتسع المقام .
وعليهم أيضاً أن يقفوا معنا ، لنسمع هذا الكاتب المسيحي
الشرقى « بشرى زخارى » في كتابه : « محمد رسول الله : هكذا
بشّرت به الأناجيل » تحت عنوان (إثبات أن القرآن كتاب
سماوى) ، فننقل قوله بإيجاز :

(القرآن هو كتاب الإسلام الذي أنزله الله على النبي « محمد »
- صلى الله عليه وسلم - ليجد فيه المسلمون نظام حياتهم ، وصلاح
أمرهم في الدنيا والآخرة . وقد تعرّض القرآن - منذ أقدم
العصور - لمطاعن ومفتريات وشبهه واتهامات ، قُصِدَ بها التشكيك
في صحته ، وفي إعجازه ، وفي صدوره عن الله ..

إن موقف أهل الكتاب من القرآن لموقف مضطرب ، إنهم حين
يجدون في بعض آياته ما لا يرضون عنه يقولون : إنه من عمل
محمد ، أو تلاميذ تلقاها « محمد » من بعض الرهبان ، وإن مجداً سار
بقرآن في الطريق الذي يتفق مع تقديره وتدبيره للخطا التي أعدّها ،
وعمل لها حساباً في فترة طويلة من شبابه ، قضاها في الرياضة
والخلاة ، ومُدارسة أهل الكتاب ..

ذلك على حين أنهم إذا رأوا في القرآن ما يرضون عنه ،
أو ما يقيم لهم حُجّة أو يضع بين أيديهم شبهة فيه - حسبما ترى
عقولهم ذات التعصب الأعمى - تمسكوا وجادلوا فيه ، وجعلوه مستنداً
للأمر الذي يعنيهم .

وهذا موقف أقل ما يوصف به أنه مجافٍ للإِنصاف ، إذ لا منطق له :
ذلك لأن القرآن كيان واحد .. إما أن يُقبل كله ، أو يُرفض
كله .. فهو إما : حق أو باطل ، سماوى أو أرضى ، من عند الله
أو من صنعة بشر .. وهذا ما نريد أن نصل إليه .

ولكى نبلغ الغاية التي نريدها ، يجب أن نقف موقفًا حياديًا
ونسأل : هل القرآن من عند الله ؟ أم أنه ليس من عند الله ؟

والإجابة على هذا السؤال ، ينبغي لنا أن نستعرض بعض ما ورد
فيه ، وهل هو مخالف لما جاءت به الكتب السماوية المنزلة من قبل ،
أم أنه يتفق معها من حيث الجوهر والمضمون ؟

فإذا اتضح لنا أن مضمونه لا يحتوي أية صدقة ،

وليس فيه ما ينقص طمأنينة العقل أو يريبها ،

فلا مفرًا إذن من الإقرار بصدقه ، وأنه من عند الله .

واسترسل الكاتب « بشرى زخارى » في ذكر ما انطوى عليه
القرآن من الوحدانية لله ، والصفات الكاملة لله ، والإيمان بالله واليوم
الآخر ، وأنه ليس للإنسان إلا ما سعى ، ووحدة الرسالات الإلهية
ووجوب الإيمان بالرسول السابقين ووحدة الجنس البشري ، والمساواة
بين الناس ، وألا تفاضل بينهم إلا على أساس إيمانهم وكفائتهم
وأعمالهم ، والقضاء على الرق والعبودية ، وحسن المعاملة والتسامح من
غير ضعف ولا ذلة ، ورعاية الأيتام ، وحسن المعاملة لغير المسلمين ،
وإلى مكارم الأخلاق والحدود والقصاص والعفو عند المقدرة ، والتربية
الاستقلالية للفرد والمجتمع ، والدعوة إلى التكافل الاجتماعي .
إلى أن انتهى بالأدلة والآيات التي تثبت :
أن للقرآن دستور إلهي من عند الله عز وجل .

ثم يقول في النهاية :

(لو أن القرآن كان من عمل « محمد » ، أو بتدبير البشر ،
لما كان مما يلتفت إليه - أبداً - أن يُزكى السيد المسيح
ووالدته العذراء مريم ، ويُطهرها ويرفع قدرها إلى حيث
لا يكاد يُطاولها أحد ، وأن يعرض معجزاتها ومعجزات
المسيح ، بما لم يجرؤ أتباعه الجهرَ به ...) .

ثم يواصل الكاتب المسيحي المهتدى : « بشرى زخارى » ،
أدلته على أن القرآن من عند الله ، فيقول :
(وقبل أن نختم هذا الباب ، نودّ أن نلتقط بعض الثمرات الطيبة
من آراء بعض الغربيين المنصفين في حق القرآن ، دون أن نعرض
لها بالشرح أو التعليق ، فهي ذاتها في غنى عن الشرح والتعليق) .

ويعرض بشرى زخارى رأى « ديرزيه بلاشيه » في وصف
القرآن ، في كتابه « دراسات في تاريخ الأديان » :
(كفي هذا القرآن مجداً وجلالا :
أن الأربعة عشر قرناً التي مرت عليه ،
لم تستطع أن تحفف أسلوبه ، بل لا يزال غضاً ،
كأن عهده بالحياة أمس ...)

كما يعرض « بشرى » قول « إيكس لوازون » ، إذ يقول :
(خلف محمد للعالم كتاباً ، هو آية البلاغة وسجل للأخلاق . . .
وهو كتاب مقدس ، وليس من المسائل العلمية المكتشفة حديثاً ،
أو المكتشفات الحديثة ، مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية ،
فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية) .

ونضيف إلى ما أورده « بشرى زخارى » من أقوال الغربيين ؛
فنختتم هذا بما أورده « فينورت » في كتابه « محمد والقرآن »
تحت عنوان (العلاقة بين العلم والدين) :

(لقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - مقتنعا بالأضرار الناجمة
من رجال الكهنوت في المسائل السياسية ، ومن مصالحهم الشخصية
إفساد جميع الحكومات ؛ فلم يستحسن وجود مثل هذه الأمور
في دياناته ، ورجب في أن يكون كل مسلم معه نسخة من القرآن
يجعلها نصب عينيه ، لأنها القانون الواضح الذي يستطيع أن يرى
فيه حقوقه وواجباته ، فالقرآن يقول إن جميع الناس على حدّ سواء
عند الله . ذلك أن دين الإسلام يقول بعدم التمييز في الجنس
أو اللون ، ولا يميز فيه الحاكم على المحكوم . وكتاب هذا
شأنه ، هو دين الله لإسعاد البشر في الدنيا والآخرة) .

كيف انتشر الإسلام ؟

بعد أن نضب مَعِين الفتريات والاقتراء ، على الإسلام وعلى نبيه ، وعلى كتاب الله المنزل على « محمد » ، صلى الله عليه وسلم ، من عند الله . . . وبعد أن أعتبهم الحِجَل فارتدت كل سهامهم في نُعورهم وإلى صدورهم ، فكانت كتبهم ، وتبشيرات أنبيائهم ، وأقلام كتابهم وسجلات مؤرخيهم ، هي خير الردود وأقواها عليهم . أخيراً لم يجدوا أمامهم إلا اللجوء إلى فِرْيَةِ أن « محمداً » لم ينشر دينه إلا بالسيف . . . ولم ينهبوا إلى أول آية نزلت في القتال :

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (١) .

أى أن المسلمين بقيادة « محمد » صلى الله عليه وسلم ، كانوا مُتَعَدِي عليهم من أعدائهم الذين يقاتلونهم ، أى أن الأعداء مُقَاتِلُونَ والمسلمين هم المُقَاتِلُونَ ، أى المعتدى عليهم لا المعتدون . إذن فقد كان قتال محمد صلى الله عليه وسلم دفاعاً عن نفسه وأتباعه حين كانوا مُدافِعِينَ ، وحين كانوا أيضاً محارِبِينَ ضد الفتنة بأمر ربهم الذى أرسل محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، وقال له :

﴿ وَقَاتِلْهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (٢) .

(٢) سورة الأنفال : ٣٩ .

(١) سورة الحج : ٣٩ .

إذن لم يكن تفكير الرسول صلي الله عليه وسلم ،
في القتال ، إنما كان متجهاً إلى غاية واحدة عُلْيَا ، هي كفالة
حرية العقيدة والرأى ، كفالة - في سبيلها وحدها - أحل القتال ،
ودفاعاً عنها أبيع دفع المُتَدَبِّي ، حتى لا يُفتن أحد عن دينه ،
ولا يُظلم أحد بسبب عقيدته أو رأيه .

وهذا ما قاله المستشرق « أميل ديرمنجم » في كتابه :
« حياة محمد » : (إن محمداً قد أبدى - في أغلب حياته - اعتدالاً
لافتناً للنظر ، فقد برهن - في انتصاره النهائي - على عظمة نفسية
قل أن يوجد مثلها في التاريخ ، إذ أمر جنوده أن يعفوا عن
الضعفاء ، والمسنين والأطفال والنساء ، وحذّره أن يهدموا بيتاً
أو يسلبوا التجار ، أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة ، وأمرهم
ألا يجردوا السيوف إلا في حالة الضرورة القاهرة ..
بل لقد رأيناه يقول لبعض قواده :

« إِنَّ نَفْسًا وَاحِدَةً : خَيْرٌ مِنْ أَكْثَرِ الْفُتُوحِ ثَرَاءً . »

ولنترك المجال « اسكارليل » في كتابه (عن البطولة) ليردّ
على الذين قالوا : إن الإسلام انتشر بالسيف :

(لقد قيل كثير في شأن نشر « محمد » دينه بالسيف ..

فإذا جعل الناس ذلك دليلاً على كذبه ، فقد ما أخطأوا

وجاروا ! فهم يقولون : ما كان الدين ليمتشر لولا السيوف .

ولكن ما هو الذي أوجد السيف !

إنه هو قوة هذا الدين . فإنه حق ! ..

فالرأى الجديد أول ما ينشأ ، يكون في رأس رجل واحد ،
يمتدده فرد واحد دون العالم أجمع . فإذا تناول الفرد سيفاً وقامت
الدنيا في وجهه ، فإنه لا يصنع شيئاً ! .. والرأى - على العموم -
أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة ، حسبما تقتضيه الحال .

أو لم تروا أن المسيحية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف
أحياناً ؟ ! وحسبكم ما فعل « شارلمان » بقبائل « السكسون » .

وأنا لا أحفل : أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان !

فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار !
لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرهما ، فإنها إن تهزم
إلا ما كان يستحق أن يُهزم ، وليس في طاقتها قط أن تُفنى
ما هو خير منها ، بل ما هو أخط وأدنى ...)

إلى أن قال : (وإن ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون
بقلوبهم النارية ، لجدير حقاً أن يكون ، وجدير أن يصدق به ..
وإن ما أودع هذا الدين من القواعد ، لهو الشيء الوحيد الذي
ينبغي للإنسان أن يؤمن به .. وهذا الشيء هو روح جميع الأديان) .
وإثن كان « كارليل » يتحدث من وجهة نظره ، فيحتد الوسائل
التي ينتشر بها الحق - مهما تنوعت هذه الوسائل - إلا أن المتبع

لحياة « محمد » صلى الله عليه وسلم ، يجد أنه صلى الله عليه وسلم وضع
منهاجاً سياسياً لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء والرسل ، وكانت
عاصمة الدولة الجديدة « يثرب » تروج بالخلافات الحادة بين قبيلتي
الأوس والخزرج العريبتين ، والتي كان يُشعل اليهود أوارها كلما
مالت إلى الهدوء ، لينفردوا بالسلطة ، وليتيسر لهم الاستغلال
الاقتصادي الذي يمكنهم من السيادة والاحتكار السياسي والاقتصادي
والاجتماعي ، وهذه عاداتهم ومبادئهم في كل زمان ومكان على مر العصور
ولذا كان أكبر همه صلوات الله وسلامه عليه ، أن يصل يثرب
- موطنه الجديد ، وعاصمة دولة الإسلام الجديدة - إلى وحدة
سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل في سائر أنحاء الحجاز .
وقد كان أول ما انصرف إليه تفكيره ، تنظيم صفوف المسلمين ،
وتوكيد وحدتهم ؛ فأخى بين المهاجرين والأنصار إخاء حكمه حكم
إخاء الدم والنسب ، وبهذه المؤاخاة زادت وحدة المسلمين توكيداً .

وبعد أن اطمان الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه
إلى وحدة المسلمين بهذه المؤاخاة . . وهي - لا ريب -
حكمة سياسية تدل على سلامة تقدير وبعد نظر :

بدأ صلى الله عليه وسلم يعمل على تحقيق وحدة يثرب ، ووضع
نظامها السياسي بالاتفاق مع اليهود ، على أساس متين من الحرية
والتحالف ، فوثق صلواته بهم ، فتحدث إلى رؤوسهم . .

وثقرب إليه كبراؤهم ، وربط بينه وبينهم برابطة المودة ، باعتبار أنهم أهل كتاب موجودون . وبلغ من ذلك أنه كان يصوم يوم صومهم ، وكانت قبلته في الصلاة لا تزال إلى بيت المقدس قبلة أنظارهم .

كما أن سيرته ، وعظيم تواضعه ، وجميل عطفه ، وحسن وفائه ، وفيض برّه بالفقير والبائس والمحروم ، وما أورثه ذلك من قوة السلطان على أهل يثرب . . كل ذلك وصل بالأمر بينه وبينهم إلى عقد معاهدة صداقة وتحالف وتقرير لحرية الاعتقاد . معاهدة هي ، في اعتقادنا ، من الوثائق السياسية الخالدة على مرّ التاريخ .

وهذا الطور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يسبقه إليه نبي أو رسول ؛ فقد كان عيسى وكان موسى عليهما السلام ، وكان من سبقهم من الأنبياء يقفون عند الدعوة الدينية ، يلغونها للناس من طريق الجدل ، ومن طريق المعجزة المحسوسة الملموسة ، ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة وذوى السلطان أن ينشروا هذه الدعوة بالمقدرة السياسية ، وبال دفاع عن حرية الناس والإيمان بها ، ولو دفاعاً مسلحاً فيه الحرب والقتال . .

انتشرت المسيحية على يد الحواريين من بعد عيسى ؛ فظلوا ومن تبعهم يُعَدِّبُونَ ، حتى جاء من الملوك من لان قلبه لهذا الدين ، فأواه ونشره . وكذلك كان أمر سائر الأديان في شرق العالم وغربه .

فأما « محمد » فقد أراد الله أن يتم نشر الإسلام وانتصار الحق على يديه ، وأن يكون الرسول والسياسي والمجاهد والقاتح . كل ذلك في سبيل الله ، وفي سبيل كلمة الحق التي يُبث بها . وهو قد كان في ذلك كله عظيماً ، وكان مثل الكمال الإنساني على ما يجب أن يكون . . .

وانفسح المجال أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلن تعاليمه ، وليكون بذاته وبتصرفاته المثل الأمسي لهذه التعاليم ، وليصبح بذلك حجر الأساس للحضارة الإسلامية .

وحجر الأساس : هذا الإخاء الإنساني ، إخاء العدل والرحمة ، ولم تكن رحمة ضعف ولا استكانة ، ولم تشبها شائبة من ولا استعلاء ، إنما كانت إخاء في الله بين « محمد » والذين اتصلوا به جميعاً . . . ومن ثم يفترق أساس الحضارة الإسلامية عن كثير من سائر الحضارات : الإسلام يضع العدل إلى جانب الإخاء ، ويرى أن الإخاء لا يكون إخاء إلا به .

﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ ۗ ﴾

بمثال ما أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ (١) .

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ۗ ﴾

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢) .

هذا الأساس الذي وضعه (محمد) للحضارة الجديدة التي يقيمها
يتلخص بصورة واضحة فيما روى عن علي بن أبي طالب أنه سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته ..

فقال صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه :

« الْمَعْرِفَةُ : رَأْسُ مَالِي ، وَالْعَقْلُ : أَصْلُ دِينِي .

وَالْحُبُّ : أَسَاسِي ، وَالشُّوقُ : مَرَكِبِي ، وَذِكْرُ اللَّهِ : أُنَيْسِي ،

وَالثِّقَةُ : كَنْزِي ، وَالْحُزْنُ : رَفِيقِي ، وَالْعِلْمُ : سِلَاحِي ،

وَالصَّبْرُ : رِدَائِي ، وَالرِّضَا : غَنِيمَتِي ، وَالْفَقْرُ : فَخْرِي ،

وَالزُّهْدُ : حِرْفَتِي ، وَالْيَقِينُ : قُوَّتِي ، وَالصَّدْقُ : شَفِيعِي ،

وَالطَّاعَةُ : حَسْبِي ، وَالجِهَادُ : خُلُقِي ،

وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . »

والحقيقة أن انتشار الإسلام ، هو إيمان الإنسان به ، الإنسان
الذي وجد الحرية التي كان يفترقها لقرون طويلة ، تحبب خلافا
بين الأديان التي جعلت منه كائناً مُسَبِّحاً ، يخضع مرة لإله الخير ،
ومرة بصيبه إله الشر ، ومرة يقع في طريق إله النعمة ، وتارة
في برائن إله النعمة ، فيحاسب على ذنب غيره ، وقد عاش
رهن الرضاء السامى للنجوم والكواكب وإشارة الكهنة ..

هذا في الأديان القديمة ..

أما في اليهودية : هل هو من ذرية يعقوب فتحوطه النعمة ،
أم هو من أبناء عيسو فتشمله لعنة الله « لأن الرب يهوه إله يفتقد
ذنوب الآباء في الأبناء حتى الجيل الثالث » ..

وفي المسيحية لا يزال هذا الإنسان وريث خطيئة أبيه آدم ،
حتى جاء المسيح ، فصلب (في زعمهم) ليكفر عنه الخطيئة .

كل هذا أدخل على الإنسان اليأس ..

حتى إذا ما جاء الإسلام ليعلن على الملأ :

﴿ يَوْمَ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ ،

وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ .

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ،

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ :

أفاق الإنسان ، وآمن الإنسان ، ودافع - عن هذه العقيدة -
هذا الإنسان .. ومن هنا انتشر الإسلام بمبادئه التوحيدية ، والحضارية
التي وضعت الإنسان على طريق العزة والسيادة والعبادة الصريحة
للوحد القهار القائل : ﴿ وَكُلٌّ لِّإِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ،

وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ،

أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

محمد والعلوم الكونية

نما سبق يثبت أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أمياً قد نشأ في مكة ، حيث كان بعيداً عن المحيط العلمي الذي يحيط بالعلوم الكونية ، بالإضافة إلى أن النظريات العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم لم تكن معلومة في عصره ، وإنما عرفت حديثاً .

وهذه الحقائق العلمية التي ذكرها القرآن الكريم ، ستعرض لبعضها ، حسبما يُسعفنا ما قرأناه واستوعبه العقل . ونترك للقارئ الحكم ، ليرى : هل يُعقل أن تكون هذه الآيات القرآنية من تأليف « محمد » ، أم هي تنزيل العزيز الحميد ، وحيماً من عند العليم الخبير ، الذي أرسل « محمداً » - صلى الله عليه وسلم - بدين الحق نبياً ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ؟ !

وإلى القارئ الآيات القرآنية ، أي الحقائق العلمية التي تثبت أن القرآن من عند الله ، نزل على رسوله من الله .

١ - في وحدة الكون ، قال تبارك وتعالى :

﴿ أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ،
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * ﴾ (١)

(١) سورة الأنبياء : آية ٣٠

وتفسير الآية حقيقة علمية تقول : إن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً ، ثم انفصلتا . . . وهذا ما يقوله العلم الحديث الذي قرر أن الكون كان شيئاً واحداً من الغاز ، ثم انقسم إلى سداًم .
وعالمنا الشمسي كان نتيجة تلك الانقسامات .

أما الشرط الثاني من الآية ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ فهو من أبلغ ما جاء في القرآن الكريم في تقرير حقيقة علمية ، أدرك العلماء سرها . فمعظم العمليات الكيماوية اللازمة للحياة والنمو تحتاج إلى الماء ، وهو العنصر الأساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات .

إذن فالآية السكريمة من أقوى الدلائل على صدق نبوة محمد . إذ القرآن استهل هذه الحقائق عن وحدة الكون وسر الحياة ، بمخاطبة الذين يكفرون بوجود الله ، بهذه الدلائل العلمية الدامغة التي تدل على وجوده ، والتي لم يدرك العالم في الماضي أسرارها ، بل أدركها العلم الحديث ، بعد جهود مضنية استغرقت أجيالاً في مجالات هذا الكون ، مما يجعلنا نعبد على مسامع الملحميين والمشككين ما ختم الله به هذه الآية ﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ :
أن القرآن تنزيل من الله تبارك وتعالى ، نزل به الروح الأمين ، على قلب « محمد » ، ليكون خاتم المنذرين .

٤ - نشأة الكون : قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ قُلْ أَنتُمْ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي
يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ، ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَهَا
فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا
فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ
وَهِيَ دُخَانٌ ، فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ : أُنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ،
قَالَتَا : أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ . (فصلت : ٩ - ١١)

إن العلم الحديث لم يُنشئ الرواسي ، أي الجبال الثوابت !

وإن استطاع أن يوفر للإنسان الأمن الغذائي ، فلن يستطيع أن يُقدّر
أرزاق أهل السموات والأرض والبحار ، وخاصة أن الله قدّر ذلك
في أربعة أيام من أجل المحتاجين الذين خلقهم ، والذين لا نعلم منهم
إلا القليل . ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ أي قصد إيجادها ،
وكانت دُخَانًا . أي أن القرآن يُصرّح أن السماء كانت
- في بدء خلق الكون - دُخَانًا .

وعلماء اليوم لهم تفسيرات شتى ، فالعالم الفيلسوف « سير جيمس جينز »
يقول : (الراجح أن مادة الكون بدأت غازاً منتشرًا خلال
الفضاء بانتظام ، وأن السدائم : السحب أو مجموعة النجوم ،
خلقت من تكاثف الغاز) .

ويقول الدكتور « جامو » أستاذ الطبيعة النظرية بجامعة واشنطن في كتابه « الشمس » : (إن الكون - في بدء نشأته - كان مملوًا بغاز موزع توزيعاً منتظماً) .

فالقرآن صوّر مصدر خلق هذا الكون (بالدخان) وهو الشيء الذي يفهمه العرب من الأشياء الملموسة . والعلماء اليوم يصوّرون منشأ هذا الكون (بالغاز) المنتشر في الفضاء .

أبكون في قُدرة أُمِّيَّ - منذ أربعة عشر قرنا - أن يدرك هذا ، في وقت كان الناس لا يعرفون شيئاً عن هذا الكون وخفاياه ؟ والجواب : لو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم قرأه ربّه ، فأنزل عليه الكتاب ، وأقرأه إياه - ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، به - لما ظهرت تلك الحقائق على لسان أفصح العرب ، أو أعلم المعجم !..

٣ - تحركات الشمس والقمر والأرض :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * ﴾ (١)

(١) سورة يس : الآيات ٣٨ - ٤٠

إن العلماء أخيراً يهتدون إلى ما أقرّه القرآن الكريم من أن الشمس تجرى باتجاه معين ، أي أن الشمس تتحرك مع مجموعتها في اتجاه كوكب نير من مجموعة كوكبه الجارى ، فالمجموعة الشمسية تخضع لقوة جاذبية الشمس التي تجعلها تدور حولها في مدارات أو مسارات بيضاوية الشكل ، ودوران الأرض أشار إليه القرآن : ﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ فدوران الأرض حول نفسها ، هو الذى يسبب الليل والنهار بانتظام .

٤ — اهتزاز الأرض :

قال الله تعالى : ﴿ ... وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (١) .
وهذه حقيقة علمية يصرح القرآن بها ، فقد دلت البحوث العلمية على أن للأرض مسام يتخللها الهواء . . . وأن نزول الماء على الأرض يدفع الهواء ويهلّ محله . . . وعند امتلاء مسام الأرض بالماء ، تتحرك جزئيات الطين بقوة دفع الماء في المسام . . . وعلوم الكيمياء أثبتت أن الطين يتمدد بالماء وينكمش بالجفاف ، فالأرض عندما ينزل عليها الماء تتحرك وتزداد في الحجم . . . وقد أمكن قياس حركة الأرض إذا ما أصابها الماء ، كما أمكن معرفة الزيادة في حجمها .

(١) سورة الحج : آية ٥

٥ - وجود أحياء في السماء :

ثبت من المباحث الحديثة أن على سطح المريخ وفي جَوْه : حرارة وماء وأكسوجين ، وهي الشروط اللازمة للحياة ، وأن العلماء الروس والأمريكان متفقون على إمكانية وجود نوع من الحياة ... وقد أذاع راديو موسكو أن العلماء السوفيت اكتشفوا دلائل جديدة تدل على وجود حياة على ظهر المريخ ، واستنتج من هذا البحث أن الأحوال الطبيعية على ظهر هذا الكوكب قريبة جداً من الظروف المطلوبة لبقاء الإنسان حياً .

والقرآن يشير بوضوح إلى وجود أحياء آخرين ، غير الذين يعيشون في كوكبنا هذا ، كما جاء في قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،

وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ (١) .

﴿ تَسْبِغُ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (٢)

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٣)

﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،

إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (٤) ..

صدق الله العظيم ، ورسوله الأمين ، ولعل العلماء يؤمنون .

(١) سورة الشورى : ٢٩ (٢) سورة الإسراء : ٤٤

(٣) سورة الإسراء : ٥٥ (٤) سورة مريم : ٩٣

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ،
وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ،
كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (١) .

فمنذ ارتياد الطبقات الجوية العليا - بفضل الطيران والبالونات -
استطعنا أن ندرك ظاهرة طبيعية تفتج عن نقص الأَكْسُوجِينِ
في الهواء في تلك الطبقات ؛ إذ يشعر الصاعد في هذا الهواء بصعوبة
في التنفس ، ويحسّ بالضيق . وهذا يسجل أن الآية الكريمة سبقت
العلم الحديث في تقرير الواقع العلمي الصحيح . . .
هذه أمثلة يعلمها الذين عضّ الحقد قلوبهم ، وأعمى أبصارهم ،
وأصمّ آذانهم عن الحقائق المسئلة ، والتي يقم الله تبارك وتعالى
على صحتها الدليل تلو الدليل .

وصدق الله العظيم ، القائل في كتابه الكريم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ
تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ،
وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ﴾ (٢) .

الخاتمة

مبادئ الإسلام

إن مبادئ الإسلام السمحة تُخرس ألسنة الذين يريدون أن يخوضوا في دين الله ، ليقبلوا من عظمة الرسالة المحمدية التي أرسل الله رسوله ﷺ بها . ألا وهي دين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ليعقّب به الحق ، ويُبطل الباطل ، ولو كره الكافرون .
إن هذه المبادئ الأساسية في الإسلام ، وأغراضها العامة الرئيسية ، لا زالت تحتفظ - وستظل تحتفظ - بحيويتها وحيديتها إلى الأبد ، فهي من العموم والمرونة بحيث يمكنها أن تواجه وتُطابق أية معلومات ، أو أية تغييرات تطرأ على أنظمة البشر وعلاقاتهم .

ويمكن تلخيص هذه المبادئ والأهداف في النقاط التالية :
أولاً : توكيد عقيدة إبراهيم ، الذي اعتبر أول الحُفَفاء ، وأول المسلمين ، وإلى هذه العقيدة يُمكننا إرجاع الأصول الفكرية لليهودية والمسيحية والإسلام .

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا ، وَلَا نَصْرَانِيًّا ،
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)

ثانياً : الاعتراف بجميع الأنبياء السابقين ، الذين دعوا أقوامهم إلى الإيمان ، واتباع الطريق المستقيم :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ، وَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١)

ثالثاً : تبسيط وتنقية وتوحيد جميع الأدبَان السابقة ، بتخليصها من الانحرافات والشوائب الدخيلة :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ ﴾ (٢)

رابعاً : الإسلام دين عالمي للإنسانية جميعاً :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ :

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ،

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ،

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (٣)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤)

(٢) سورة المائدة : ٧٣

(١) سورة البقرة : ٢٨٥

(٤) د سبأ : ٢٨

(٣) د الأعراف : ١٥٨

خامساً : الإسلام لا يستمد تسميته من جنس كاليهود ،
أو من نبي كالمسيحية . . .

ولكن اسمه يعبر عن جوهره وفكرته الأساسية كعقيدة . .
ألا وهي : التسليم لإرادة الله وهداياته ، والدعوة إلى السلام
العالمى ، وعدم الاستسلام للمعتدين :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ الشُّجُودِ ... ﴾ (١) .

سادساً : العلاقة بين الله والإنسان مباشرة . . ومن شأن مثل
هذه العلاقة ألا تفسح مجالاً لظهور الوساطة أو الكهانة ، التى تضع
الأغلال فى عنق الإنسان :

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * إقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ
الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ،
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ،
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٢) .

والإسلام لم يمتن كرامة الإنسان ، ولم يجعل أحداً مهيمناً عليه ، فيقول لتابعه : اتبعني ، دون تفكير .

إنما جعل الإنسان حرّاً لا ينفخى أمام الضغوط الفكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، لا يعرف غير واجبه فهو ربه :

﴿ وَاللَّهُ الْعِزَّةُ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

سابعاً : المغفرة من الله وحده . يلجأ إليه المذنب ، بدون واسطة تقلل من إنسانيته وكرامته .. وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾

(سورة الشورى : ٢٥)

ثامناً : يشجع الإسلام على العمل والإنتاج ، ويجعل السعي والبناء جزءاً من العبادة ، وركناً من التعبّد ، ويشجّب التواكل والعزلة والرهينة بحجة العبادة . قال الحق تبارك وتعالى :

﴿ ... وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ، وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

(سورة الحديد : ٢٧)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ،
لِنَبْلُوَهُمْ : أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ .

(سورة الكهف : ٧)

تاسعاً : لقد نَمَى الإسلام وطَوَّر العنصر الخلقى للدين ، مضيفاً الكثير إلى وصايا موسى العشر ، وتناول لأول مرة دقائق التصرف الحسن وآداب السلوك ولمحات الذوق العام . . إلى جانب المبادئ الخلقية الأساسية ، مما لا يتسع له هذا المقام . والذي يُفنى عن التوسع ، قول رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّمَا بُعِثْتُ ، لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ . »

عاشراً : أرسى الإسلام القواعد الأساسية لمجتمع إنسانى سليم . وقد غطت هذه القواعد جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدولية لحياة البشر . فهو لم يكن الدين الإسلامى فحسب ، بل أنشأ المجتمع والدولة الإسلامية والعالمية .

حادى عشر : لم يعتمد الإسلام على المعجزات كوسيلة للإقناع ؛ بل اعتمد أساساً على جوهره ، وعلى إقرار الحرية والاختيار :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ .

ثاني عشر : استحدثت الإسلام مبدأ التفاهم المتبادل بين جميع الشعوب والدول ، ودعا بإخلاص إلى السلام العالمي والصدقة . حتى يمكن إرجاع الأصول الفكرية لنظرية التعايش السلمي - التي أدخلت حديثاً في السياسة الدولية - إلى المبادئ الدولية العامة للإسلام . تلك هي المبادئ والأغراض الأساسية للإسلام ، التي لم نستطع حصرها في هذا المكان الضيق .

ولأنها تعطي في مجموعها فكرة واضحة عن مدى عمق وشمول هذا الدين الذي توج الأديان كلها ؛ رأينا أن نفردها كتاباً : (مبادئ الإسلام) إن شاء الله ؛ لأن الإسلام ختم بذلك الرسائل المقدسة للأنبياء ، ولم تكن الرسائل السابقة إلا مراحل متتابعة في الطريق إلى الكمال ..

* وما إن أتم الله بالنبى « محمد » ورسالته آخر مراحل الطريق ؛ حتى أنزل الله تبارك وتعالى عليه الآية الكريمة :

﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ،

وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ،

وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا .

(سورة المائدة : ٣)

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
بشارة المسيح		من آيات التنزيل وقبس النبوة .	٢
محمد صلى الله عليه وسلم .	٤٥	الإهداء .	٣
أمية محمد صلى الله عليه وسلم	٦١	المقدمة	٤
الرسول الواثق من دعوته .	٦٥	لفضيلة مفتى جمهورية مصر	
محمد : صلى الله عليه وسلم		الشيخ : جاد الحق على	
وعلماء الشرق والغرب .	٧٩	جاد الحق	
الفروسية والمؤرخون		تصدير الكتاب .	٧
مع القرآن .	١٠٤	معنى الإسلام .	١٥
كيف انتشر الإسلام .	١٢١	محمد : صلى الله عليه وسلم	
محمد والعالم السكونية .	١٢٩	في التوراة .	٢٤
الخاتمة			
مبادئ الإسلام .	١٣٦		
مصادر الكتاب .	١٤٣		

مصادر الكتاب

المؤلف	اسم المصدر
ابن هشام	القرآن الكريم السيرة النبوية العهد القديم العهد الجديد
بشرى زخارى جا كوثيل رايم توماس كارليل لودفج سييل جونسون	محمد رسول الله : هكذا بشرت به الأناجيل يهود يترب الأبطال المسيح في وضوح ترجمة معانى القرآن الدبانات الشرقية حياة محمد حياة محمد
سير موريس (الفرنسى) الورد هيدلى أرنست رينان ه. ج. ويلز أميل دير منجم تولستوى فيلبس جيبس	تعليقاتى على تواريخ الأديان حياة محمد حياة محمد حكم النبي محمد عظمة محمد

المؤلف	اسم المصدر
المؤلف الغربي جوته : الأديب الألماني	الديوان الشرقى ..
جيبون	الرسالات الإنسانية والقانون
فينورت	محمد والقرآن
	مجلات النور السورية ،
	و « لابر فرانسيز » الفرنسية .
المؤلف	الأديان فى كفة الميزان
المؤلف	سِرِّ إيمانى

« صدر للمؤلف »

- ١ — الأديان فى كفة الميزان .
- ٢ — سِرِّ إيمانى .
- ٣ — فى رحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٤ — اليهود فى الكتب المقدسة .
- ٥ — الرهبانية والتصوف .

« تحت الطبع »

- ١ — يا بُنَى .
- ٢ — مبادئ الإسلام .
- ٣ — الإسلام إطار الفن الرفيع .
- ٤ — عهد صلى الله عليه وسلم : فى كتب الغرب .
- ٥ — الإنسان فى الأديان .